كتاب

قلائد العقيان

في مفاخر دولة * آل عثمان

« للعلامة الشيخ ابرهيم بن عامر بن علي العبيدى المالكي »

﴿ غفر الله له ولوالديه ﴾

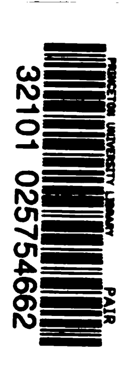
–(آمين)–

(طبع بمصر سنة ١٣١٧ هجريه)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبه نستعين ﴾

حمداً وشكراً لك يدومان . وصلاةً وسلاماً على نبيك سيدنا محمدٌ يتعاقبان وعلى آله الطيبين الطاهرين . وعلى اصحابه الكاملين الراسخين . ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين . وشهادةً له بانه سبحانه الواحد الأحد الفرد الصمد المنفرد بالتدبير . وهو بعباده خبير بصير . وهو على كل شيء قدير . واقراراً واذعاناً ان سيدنا ومولانا محمداً صلى الله عليه وسلم هو المرسل للعالمين انسه وجانه . ارسله والاسلام غريب اوضحه بمعجزاته وبرهانه . فاضحي عزيزاً مشهوراً في سائر اقطاره وبلدانه وعلى اله واصحابه وشيعته واخوانه الذين سكنوا مضطرب الدين بتبيانه . وازالوا المنكر واصلحوا القلوب اكرم بحماة الدين وفرسانه . (وبعد) فيقول الفقير ابراهيم ابن عامر العبيدى المالكي سبط الحسين . هذا كتاب سميته (قلائد العقيان) لحضرة مولانا الوزير عثمان في مفاخر دولة آل عثمان . والموجب تأليفه اننا سمرنا ليلة من الليالي مع شيخ السنة السنية . وعالم الديار المصرية . عمدة المتكلمين مولانا واستاذنا (زين العابدين البكرى) دام حفظه . وايد لحظه . نتذاكر مسائل علمية . ونوادر ادبية . واخبار ملوك اموية . وعجائب عباسية . وغرائب طولونية . وتغلب اخشيدية . وبدع عبيدية . وفراسة ايوبية . ومحامد تركية وسيرا جركسية . ومفاخر عثمانية . وفاض بنا الحديث . في القديم والحديث . فما رأينا دولة من الدول . ولا سلطنة في



الاعصر الاول . مثل دولة بني عثمان من اول الزمان الي اخر الزمان وان لاح لغيرهم هلال جمال فلهم بدر كمال . وان نبع لغيرهم نهلة صادى من فعل جميل . فلهم سيحون وجيحون والفراة والنيل . وان كان لغيرهم بارقة من معروف فلهم شمس المعارف ولا يعتريها كسوف . وان بمناقب تفاخر الناس وزير آل عثمان يفاخر بني العباس فعند ذلك الزمني استاذنا البكري ان اهدي حضرة مولانا آصف الزمان . وجعفر العصر والاوان . كافل المملكة الاسلامية . وحامي حمي الاقطار الحجازية . الدستور المكرم . عالى الشأن . والمشير المفخم المدبر لجمهور عالم الانسان . الوزير الاعظم عثمان . كان الله له حيث كان . فى كل مكان وزمان . بتأليف يختص بالدولة العثمانية . والسلطنة الخاقانية . فما رايت اليق من تفسير آية قرآنية . وسنة نبوية . في حق صهر سيد ولد عدنان عثمان بن عفان . رضى الله عنه لانه الاصل في النسب المتين . كما صرح به بعض المؤرخين . وذلك هو الفضل المبين . واذكر سلاطين بني عثمان وبعض مالهم من الخيرات والكمالات والاحسان . الى مليك هذا العصر . وسلطان تشرف به هذا الدهر . سلطان الاسلام والمسلمين . وقامع الكفرة والملاحدة والمبتدعين . من تغبطه النيران مولانا السلطان (محمد ابن السلطان ابراهيم خان) لا زالت سلطنته دونها الفراقد ولا برحت ممالكه مخلدة الاوابد . واذكر وزرائهم فى الاقطار المصرية . ومدة جلوسهم على التخوت اليوسفية . من خير بك الى الوزير عثمان . واجمع فيه من كل فاكهة زوجان . خلد الله دولته ما دام الجديدان .

شعر

من البيض الوجوه لهم جمال ... لو انك تستضيء بهم لضاؤا

لهم ضوء النهار اذا استقلت ونور لا يغبطه السماء

هم حلوا من الشرف المعلا ومن حسب العشيرة حيث شاؤا

فلو ان السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء

وقبل ذلك امتدح حضرة مولانا الوزير عثمان باشا بقصيدة عربية طنانة . ومن بحر البديع ريانة . لو وقف عليها ابو تمام . لقال هي لهذه الصناعة الادبية ختام تمام . اعاذها الله من غبي جاهل وحسود متجاهل ويرحم الله الطغراوي حيث قال

اهوي التكرم والتظاهر بالذى علمته والعقل ينهى عنهما

والناس اما ظالم او جاهل فمتي لطيف تكرما وتكلما

وذلك هدية الملوك والوزراء من علماء الادب من سالف الزمان لهم الفخر بالحسب وتعالى النسب فقد ورد (ايمان المؤمن يربو بالمدح) (ان من الشعر لحكمة . اعنا بلسانك ياحسان . ايدك الله بروح القدس) وكان النبي صلى الله عليه وسلم من شعرائه حسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة وهذه القصيدة الغراء والفريدة الزهراء المطلع

هو السعد لا تسمع لقول المنجم واى ربيع يأتنا فى المحرم

لكل زمان حكمة وعلامة بها يستقيم الحال للمتقوم

مدار العلا حزم وجزم هما هما وعقل وراي صونه بالتكتم

تريد ملاك الامر فاحكم اساسه جدير لمن يرع العلا بالتقدم

متى اقبلت خذها بعزم وفطنة والق المراسى فى بحار التكرم

مهب رياح السعد ارخى قلاعه ولا تخشى من امواج بحر مطمطم

محك فصوص الناس نيل ولاية بها تنظر العينان سر المكتم

جواهر ياقوت معادن عسجد　　تساما باسم الدر لما سماسمي
وما بعجيب أن يلي الامر اهله　　وان ان عين لا ترى النور قدعم
ومن رام يرقي ذروة المجد مسرعاً
فلا بد من أن فات اول سلم
وما العز الا الجوب بين مهامه　　تحير القطا ان طار ياعز فاعلم
وفي انتقال الشمس اعظم عبرة　　لأدنى واعلا لا تقيم باعظم
وليس اعتزالي عن دياري وأن نأت
معيباً فقد يكبو الجواد ويرتم
وغاية أمرى واغترابي لعلني　　يضاحكني دهري ولو بالتبسم
وماوارد السبعين والشمر والهوا　　ولا يعتني بتنع او مععم
وقائلةٍ والعيس شدت ودممها　　لاءل كطل او عقيق كعندم
الى من تشد اليعملات بضبطها　　فقلت الى باب الوزير المعظم
لعثمان ذي النورين معنى وصورة　　وزير بلا وزر له الفخر ينتمي
هو البحر من اى الجهات اتيته　　ومن يلق بحراً لا يرى للتيمم
مفارس مجد أثمرت فى رياضه　　يفوه بفوح المجد عند التكلم
عليم باحوال الزمان واهله　　بقلم لا حتي يري لتعلم
او امره تمضي الي حيث وجهت　　من المغرب الاقصى لمند يالملم
ابو جعفر في الرأى والحكم أصف　　وما حاتم الا له عبد ينتمي
اسا كن قفر فى بوار بقفرة　　كمثل عزيزا لمصر يا علو فاحكم
مجيد اليه المجد أرخي قياده
ودهر يعاني للحروب مسلم

وسل عنه اهل الشام والمصر ناشدا
وسل عنه اهل الروم مار مت واسلم
وما المصر بالاولى تنور بعدله
ففى الشام حل الخصب من غيث الهم
وقد اصبحت مصر زليخا بحكمه تشير بعناب وتومي بمعصم
وصارت دمشق الشام تبكي تأسفا على بعد عثمان الوزير المفخم
وهنت لمصر بالصفى وبالرخا وراح الغلا منها وعزت بموسم
وكل الرعايا حامدون لربهم على نعم قد ساقها خير منعم
وما الدهر اهل ان يجود بمثله سوى بابنه سر الوزير المطلسم
على وجهه نور السعادة لائح وللفرع حكم لا شك فافهم
يعامله المولى بحفظ وعزة بحيث يراه الأب كالأب يستمى
وزير له في الشرق والغرب صولة
تسير بها الركبان فى كل منسم
جنائبه كمت الجياد وأنها تميس دلالا من بديع التهكم
ويعلوا قب الكمت يسترق السما ويصغي لها بالاذن كالمتفهم
أغر طويل الباع وهو محجل واسرع من سهم النبال اذا رمي
مليك على الكمت الجياد باسرها وما بعجيب وهو ابن الادهم
وما الرعد الا من صدا طبوله وما البرق الا لمعة البر في الدم
بيارقه اذا خفقت بوم غازة تميد لها صم الجبال وترتمى
تشتت ايديه لمال مجمع كما شتت جمع المدا يوم مأثم
يضيق الفضا بالخارجين كأنه عليهم رعاك الله اضيق قمقم

رقيق على اهل التقي بلطافة غايظ على الباغين كالمتهرم
وزير له المولى أعز جنابه واظهره ما بين عرب واعجم
وما كنت ادري ان في المصر حاتماً
ولا عنتر ان جال فى يوم ملطم
الي ان رأيت البدر عثمان جالساً فما هو الا ذاك بامصر فاغنم
وحاربت دهري بعد ان سرت عنده
فسالمني رغما وصار خويدمي
تهنا بها عثمان انت نظامها وجات محاسنها كدر منظم
فلا زلت مامر الجديدان فى هنا
بطه وموسى والمسيح ابن مريم
ويبقي لك النجل السعيد مساعداً
وتبلغ ما تختار من كل مغنم
وازكي صلاة الله ثم سلامه
على المصطفى المختار من نسل ادم
كذا الآل والاصحاب ما در شارق
وما غرد القمري باشجى ترنم
وما للبيدي طلع في نظامه هو السعد لا تسمع لقول المنجم

﴿ مطلب فى سعادة اسم عثمان ﴾

ومن السر العجيب ان مسمى هذا الاسم سابق في كل سياده . الا ترى ان عثمان بن عفان رضي الله عنه اول خليفة في الامويين والملك العزيز عثمان اول اولاد الملك صلاح الدين الايوبى الكردى . وعثمان

اول سلاطين العثامنه واول وزير دخل مصر من وزراء العثامنه عثمان . وكان السلطان عثمان بن السلطان أحمد سلطاناً عظيما . وكان عثمان الزنجيلي صاحب عدن ملكا جليلا ومن الاتفاقيات الغريبه ان نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم استخلف عثمان بن عفان على المدينة في غزوة بدر . وسلطاننا محمد أيّد الله سلطانه وأيد اركانه استخلف على مدينة القسطنطينية عثمان باشا فتأمل هذه اللطائف ومن ظرائف هذا الاسم الشريف لغزته الشعراء

احاجيك في اسم الذى قد هويتُ فنسره لي يا اديب الزمان
حروف كتابتها خمسة اذا مرّ حرف تبقى ثمان

ولنتكلم على ما وعدنا به فى بعض الايات القرآنيه التي انزلها الله في حق عثمان بن عفان رضى الله عنه وما ذكره اهل التفسير وما اليه تشير . فان القرآن الشريف فسره السابق ووقف عليه اللاحق ولله در القائل

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة لعمرى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيجني البكا بكاها فقلت الفضل المتقدم

علي انني معترف بالعجز والقصور ومن اين لمن هو على الباب ان يعلم ما تكنه القصورُ (شعر)

كمن يرعى وليس له سوام ومن يحدُوا وليس له بعيرُ

قال الله تعالى (الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يبتغون ما انفقوا منـاً ولا اذى لهم جزاءهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) قال الكلبيُّ . نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف . جاء عبد الرحمن باربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلي الله عليه وسلم . قال كانت عندى ثمانية الاف فامسكت منها

لنفسي وعيالي اربعة آلاف واربعة آلاف اقرضتها ربي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت . واما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واقلاسها فنزلت فيهما هذه الاية . قال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بالف دينار في جيش العُسرة وصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ماضر بن عفان ما عمل بعد اليوم هذه . فانزل الله تعالى (الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله الاية) والمن والاذى هو المنّ بالعطاء فيقول اعطيتك كذا وتعدّ نعمك عليه فتكدرها والاذى ان تعيره فتقول كم تسال وكم تؤذيني وقيل من الاذي ان يذكر انفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه وقال سفيان منى منّاً ولا اذى هو ان تقول قد اعطيتك واعطيت فما شكرت قال عبدالرحمن بن زيد بن اسلم كان ابي يقول اذا اعطيت رجلاً شيئاً ورأيت ان سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه . فحرمّ الله على عباده المن بالصنيعة واختص به صفة لنفسه لان مَنْ العباد تعيير وتكدير . ومَنْ الله افضال وتذكير . لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ذكره البغوي وخصوصية السبب لا تنافي عموم الحكم فكل من انفق ولم يتبع انفاقه منا ولا اذى له اجره عند ربه ولا خوف عليه ولا حزن لديه وقال تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار فالذين معه ابو بكر الصديق اشدّاء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعاً سجدا عليّ بن ابي طالب يبتغون فضلاً من الله بقية العشرة المبشرين بالجنة وفي الحديث (ارحم امتي) ابو بكر واشدهم في امر الله عمر واصدقهم حياءً عثمان

واقضاهم عليّ وافرضهم زيدٌ وأقرأهم أُبيٌّ واعلمهم بالحلال والحرام معاذ ابن جبل ولكل امة أمين وامين هذه الامة ابو عبيدة عامر بن الجراح ورواية بعمر عن قتاده مرسلا وقال تعالى أمن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه قرأ ابن كثير ونافع وحمزة امن بتخفيف الميم والاخرون بتشديدها فمن شدد فله وجهان احدهما ان تكون الميم في اصله فيكون الكلام استفهاما وهو انه محذوف مجازه امن هو قانت كمن هو غير قانت كقوله افمن شرح الله صدره للاسلام كمن لم يشرح صدره والوجه الآخر انه عطف على الاستفهام مجازه الذى جعل لله اندادا خيرٌ من هو قانت ومن قراء بالتخفيف فهو الف استفهام دخل على من معناه هذا الذى كالذى جعل لله اندادا وقيل الالف في أمن معناه حرف الندا تقريره يامن هو قانت والعرب تنادي بالالف كما تنادى بالياء فتقول ابنى فلان ويابني فلان فيكون معنى الاية قل تمتع بكفرك قليلا ياعتبة يا ابن ربيعة او ياحذيفة المخزومي او غيرهما انك من اصحاب النار ويامن هو قانت اناء الليل انك من اهل الجنة قال ابن عمر انها نزلت في عثمان بن عفان وقال ابن عباس نزلت فى ابى بكر الصديق وقال الضحاك نزلت فى ابى بكر وعمر وقال الكلبي نزلت في ابن مسعود وعمار وسليمان والقانت المقيم على الطاعة قال ابن عمر القنوت قرأة القرآن وطول القيام واناء الليل ساعاته ساجداً وقائما يعنى في الصلاة يحذر الاخرة يخاف الاخرة ويرجو رحمة ربه يعني كمن لا يفعل شيئاً من ذلك قل هل يستوى الذين يعلمون كعثمان والذين لا يعلمون كابى حذيفة ابن المغيرة انما يتذكر اولوا الالباب ذكره البغوى وعثمان بن عفان رضى

الله عنه هو بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الاموى . ولد فى السنة السادسة من الفيل واسلم قديما على يد ابى بكر الصديق رضى الله عنهما وهاجر الهجرتين وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وماتت عنده في قتال غزوة بدر فتأخر عن بدر لتمريضها باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له بسهمه واجره وهو معدود في البدريين . قال ابن عبادة لم يجمع القرآن الا هو والمأمون من الخلفاء . وقال ابن سعد استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة فى غزوته ذات الرقاع والى غطفان . اخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن حاطب قال ما رأيت احداً من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم كان اذا حدث اتم حديثاً ولا احسن من عثمان بن عفان الا ان كان رجلا يهاب الحديث . واخرج ابن سيرين قال كان اعلمهم بالمناسك عثمان وبعده ابن عمر . وامه اروي بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف . وامها أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب واروي اسلمت رضي الله عنها . بويع له بالخلافة يوم السبت غرة المحرم سنة اربعة وعشرين بعد دفن عمر رضي الله عنه بثلاثة ايام باجماع الناس عليه وقتل بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشر او سبعة عشر خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين كذلك على راس احدى عشر سنة واحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوماً من مقتل عمر حج فيها كلها الا السنة الاولى والاخيرة . وكان رضي الله عنه جميلا جدا وسمى ذي النورين لجمعه بين بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية وام كلثوم او لان كل من دخل الجنة يبرق له برق وعثمان برقتان . وسمع ابو سعيد رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه • وكان عثمان رضى الله
عنه يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته يأكل الزيت بالخل. وكان اذا
جلس للحكم يجلس على يمينه عالم وعلى يساره عالم من الصحابة رضي
الله عنهم ويقول لست بقاض انما انا منفذ وسئل على رضى الله عنه عن
عثمان بن عفان قال ذلك امرءٌ يدعي فى الملاء الاعلى ذى النورين • وعن
ابى سعيد قال رمقت رسول الله صلى الله عليه وسلم من اول الليل الي طلوع
الفجر يدعو لعثمان بن عفان • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
اغفر لك ياعثمان ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وما هو
هو كائن الى يوم القيامة • ومن رواية جابر قال اوتى رسول الله صلي الله
عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصلى عليه فقيل له يارسول الله ما نراك تركت
الصلاة على احد قبل هذا • قال انه كان يبغض عثمان فابغضه الله عزوجل
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يشفع
عثمان في سبعين ألفاً من النار ممن استوجبوا النار وروى عن على بن
أبي طالب رضى الله عنه قال دخل عثمان رضي الله عنه على النبي صلى
الله عليه وسلم وركبته بادية فغطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبته
فقيل له دخل عليك ابو بكر وعمر وعلى فلم تغطها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انى استحى ممن استحت منه ملائكة السماء • وروى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لما سرى بى الي السماء دخلت جنة
عدن فاعطيت تفاحة فلما وضعتها في كفي انقلبت عن حوراء عينا
مريضة كأن اجفان عينيها مقادم النسور فقلت لها لمن انت فقالت
للخليفة من بعدك يقتل ظلما عثمان بن عفان • وعن ابى قلابه قال كنت

برفقة بالشام فسمعت رجلاً يقول واويلاه النار فقمت اليه اذا رجل مقطوع الرجلين واليدين اعمى العينين منكب على وجهه فسألت عن حاله فقال انى كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها فقال عثمان مالك قطع الله يديك ورجليك واعمى عينيك وادخلك النار قال فاخذتني رعدة عظيمة وخرجت هاربا فاصابني ما ترى وما بقي من دعائه الا النار . وروى ان ابي عبيدة عامر بن الجراح قال له يوماً انا افضل منك بثلاثة قال وماهن قال الاولى انى كنت يوم البيعة حاضرا وكنت انت غائبا . والثانيه شهدت بدرا ولم تشهدها . والثالثة كنت ممن ثبت يوم أحد في الواقعة ولم تثبت انت فقال له صدقت ان يوم البيعة كان بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فى حاجة ومد يده عني وقال هذه يد عثمان بن عفان فكانت يده الشريفة خيرا من يدي . واما واقعة بدر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفنى على المدينة فلم تمكني مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها . واما انهزامي في يوم أحد فان الله عفى عني واضاف فعلي الى الشيطان فقال تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفى الله عنهم ان الله غفور رحيم فخصمه عثمان اي غلبه .

﴿ ذكر مقتله رضي الله عنه ﴾

اخرج ابن عساكر عن الزهرى قال قلت لسعيد بن المسيب هل انت مخبرى كيف كان قتل عثمان ماكان شان الناس وشأنه ولما خذله

اصحاب محمد فقال قتل عثمان مظلوماً ومن قتله كان ظالماً ومن خذله كان معذوراً . قلت وكيف كان ذلك . قال ان عثمان لما ولي الخلافة كره ولايته نفر من الصحابة لأن عثمان كان يحب قومه فولى الناس اثنتي عشرة سنة وكان كثيرا ما يولي بني أمية فكان يجيء من امرائه ما ينكره اصحاب محمد . وكان عثمان يستعتب فيهم فلا يعزلهم فلما كان في السنة الاواخر استأثر بني عمه فولاهم وما اشرك معهم . وامرهم بتقوى الله . ولي عبد الله بن سرح مصر فمكث عليها سنتين فجاء اهل مصر يشكونه ويتظلمون منه وقد كان قبل ذلك من عثمان هنات الي عبد الله بن مسعود وأبي ذر . وعمار بن ياسر فكانت بني هزيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لحال بني مسعود . وكانت بنو غفار واحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها وكانت بنو محروم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر فكانت بنو هزيل وبنو زهرة يد واحدة مع العرب وجاء اهل مصر يشكون ابن ابي سرح فكتب اليه كتاباً يتهدده فيه فابي ابن ابي سرح يقبل ما نهاه عثمان وضرب بعض من اتاه من قبل عثمان من اهل مصر ممن كان اتى عثمان فقتله فخرج من اهل مصر سبعماية رجل فنزلوا المسجد وشكوا الى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع بن ابي سرح بهم . فقام طلحة بن عبدالله فكلم عثمان بكلام شديد وارسلت عائشة اليه فقالت تقدم اليك اصحاب محمد وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت فهذا قد قتل منهم رجلا فانصفهم من عاملك ودخل عليه على بن ابى طالب فقال انما يسئلونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دماً فاعزله عنهم واقضي بينهم فان وجب

عليه حقوق فانصفهم منه فقال اختاروا رجلا اوليه عليكم مكانه فاشاروا
الناس عليه بمحمد بن ابي بكر فقالوا استعمل علينا محمد بن ابى بكر فكتب
عهده وولاه وخرج معه عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين
اهل مصر وابن ابى سرح . فخرج محمد ومن معه فلما كان على مسيرة
ثلاثة من المدينة اذا هم بغلام اسود على بعير يخبط البعير خبطاً
كأنه رجل يطاب او يطاب . فقال له اصحاب محمد ما
قضيتك وما شأنك كأنك هارب او طالب . فقال لهم انا غلام امير
المؤمنين وجهني الى عامل مصر . فقال له رجل هذا عامل مصر .
فقال ليس اريد وأخبر بأمره محمد بن أبى بكر فبعث في طلبه رجلاً
فأخذه فجاء به اليه . فقال له غلام من انت فاقبل مرّة يقول انا
غلام امير المؤمنين . مرّة يقول انك غلام مروان حتى عرفه رجل
انه لعثمان . فقال له محمد الى من أرسلت . فقال الى عامل مصر . فقال
بماذا . قال برسالة له . قال أمعك كتاباً . قال لا ففتشوه فلم يجدوا
معه كتابا وكان معه ادواة قد يبست فيها شئ يتقلقل فحركوه ليخرج فلم
يخرج فشقوا الادواة فاذا فيها كتاب من عثمان بن عفان الى ابن ابى سرح
فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والانصار وغيرهم . ثم فك
الكتاب بمحضر منهم فاذا فيه اذا ما اتاك محمد وفلان وفلان فاحتل على
قتلهم وابطل كتابه وقر على عهدك حتي يأتيك رائي واحبس من يأتى الي
يتظلم منك ليأتيك رائي فى ذلك ان شا الله تعالى . فلما قرؤا الكتاب
فزعوا وازعموا ورجعوا الي المدينة وختم محمد الكتاب ونفر كانوا معه
ودفعوا الكتاب الى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير

وعليا ومن كان من اصحاب محمد ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم فاخبروهم
بقصة الغلام واقروهم الكتاب فلم يبق أحد من اهل المدينة الا حنق
على عثمان . وزاد على ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبي ذر وعمار
ابن ياسر حنقا وغيظا . وقام اصحاب محمد فلحقوا بمنازلهم ما منهم احد الا
وهو مغتم لما قرؤا الكتاب وحاصر الناس عثمان . واجلب عليه محمد بن ابي
بكر بنى تيم وغيرهم . فلما رأي ذلك علىّ بعث الي طلحة . والزبير
وسعد . وعمار . ونفر من الصحابه كلهم جري ثم دخل على عثمان
ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له علىّ ما هذا الغلام غلامك
قال نعم والبعير بعيرك قال نعم . قال فانت كتبت هذا الكتاب . قال لا
وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا أعلم به . قال على فالخاتم
خاتمك قال نعم . قال كيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه ختمك ما تعلم
به فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا
الغلام الي مصر قط . وأما الخط فعرفوا انه خط مروان وشكوا في امر
عثمان وسألوه ان يدفع اليهم مروان فابي وكان مروان عنده في
الدار . فخرج اصحاب محمد من عنده غضابا وشكوا في امره . وعلموا
ان عثمان لا يحلف بباطل الا ان قوما قالوا ان يبرا عثمان من قلوبنا
الا ان يدفع الينا مروان حتي نبحثه ونعلم حال الكتاب . وكيف يأمر
بقتل رجل من اصحاب محمد بغير حق فان يك عثمان كتبه عزلناه
وان يكن مروان كتبه على لسان عثمان ننظر ما يكون منا في امر مروان
ولزموا بيوتهم . وابى عثمان ان يسلم اليهم مروان وخشي عليه القتل
وحصر الناس عثمان . ومنعوه الماء فاشرف على الناس فقال افيكم علىّ

قالوا لا فسكت . قال أفيكم سعد قالوا لا فسكت وقال ألا احدٌ يبلغ علياً فيسقينا الماء فبلغ ذلك علياً فبعث اليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه . وجرح بسببها عدة موالي من بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء اليه فبلغ علياً ان عثمان يراد قتله . فقال انما اردنا منه مروان فاما قتل عثمان فلا . وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا احدا يصل اليه . وبعث الزبير ابنه . وبعث طلحة ابنه . وبعث عدة من اصحاب محمد ابناءهم يمنعون الناس ان يدخلوا على عثمان ويسألونه اخراج مروان . فلما راى ذلك محمدُ بن ابى بكر ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضبت الحسن بالدما على بابه واصاب مروان سهم وهو في الدار وشج قنبر مولى علي فخشي محمد بن أبي بكر ان يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فتنة فأخذ بيد رجلين فقال لهما ان جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشف الناس عن عثمان وبطل ما نريد . ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير ان يعلم احدٌ فتسور محمد وصاحباه من دار رجل من الانصار حتى دخلوا على عثمان ولا يعلم أحدٌ ممن كان معه الا امرأته فقال لهما محمد مكانكما فان معه امرأته حتى أبدأكما بالدخول فاذا انا ضبطته فادخلا فتوخياه حتى تقتلاه . فدخل محمد فاخذ بلحيته فقال له عثمان والله لو رأك أبوك لساءه مكانك مني فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فتوخياه حتى قتلاه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها لما كان في الدار من الضجة وصعدت امرأته الى الناس فقالت ان امير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه . مذبوحاً فبلغ الخبر علياً وطلحة

والزبير ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذى اتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا . وقال علي لابنيه كيف قتل امير المؤمنين وأنتما على الباب ورفع يده فلطم الحسن وضرب الحسين فى صدره وشتم محمد بن طلحة وعبدالله بن الزبير وخرج وهو غضبان حتى اتى الى منزله . وجاءه الناس يهرعون اليه فقالوا له نبايعك فمدّ يدك فلا بد من أمير . فقال علي ليس ذاك اليكم انما ذاك لاهل بدر فمن رضى به اهل بدر فهو خليفة فلم يبق أحد من اهل بدر حتى اتى علياً . فقالوا ما نرى احداً أحق بها منك مدّ يدك نبايعك فبايعوه . وهرب مروان وولده . وجاء علي الى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لا ادرى دخل عليه رجلان لا اعرفهما ومعهما محمد بن ابي بكر . اخبرت علياً والناس ما صنع محمد بن ابى بكر فدعي علي محمداً وسأله عن ما ذكرت امرأة عثمان . فقال محمد لم تكذب قط والله دخلت عليه وانا اريد قتله فذكر لى أبي فقمت عنه وانا تائب الى الله والله ما قتلته ولا مسكته . فقالت امرأة عثمان صدق ولكنه ادخلهما . واخرج ابن عساكر عن كنانة مولي صفيه وغيره قال قتل عثمان رجل من اهل مصر ازرق اشقر يقال له حمار . واخرج عدى وابن عساكر من طريق حديث انس مرفوعاً ان لله سيفاً مغموداً في غمده ما دام عثمان حياً فاذا قتل عثمان جرّد ذلك السيف فلا يغمد الى يوم القيامة . واخرج ابن عساكر عن ابي خلدة الحنيفي قال سمعت علياً يقول ان بني أمية يزعمون اني قتلت عثمان لا والله الذي لا اله الا هو لا قتلت ولا مالئت ولقد نهيت فعصوني . واخرج الحاكم وصححه

عن قيس بن عباد قال سمعت علياً يوم الجمل يقول اللهم اني ابرأ اليك من دم عثمان ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وانكرت نفسي وجاؤني للبيعة فقلت والله اني لاستحي من الله ان ابايع وعثمان لم يدفن بعد فانصرفوا فلما رجع الناس فسألوني البيعة فقلت اللهم اني مشفق مما أقدم عليه ثم جاءت عزيمة فبايعت . ولقد قالوا يا امير المؤمنين فكانما صدع قلبي. وقلت اللهم خذ مني حتي ترضى . قلت . وقبائح بني امية اشهر من ان تذكر . فانهم مصادر الفتن وعنهم نشأت . فانهم قد هدموا الكعبة ورموا المصحف الشريف في بركة الخمر . ومزقه الوليد بن اليزيد بالنشاب وجعلوا الرسول دون الخليفة وختموا اعناق الصحابة وقتلوا آل محمد صلى الله عليه وسلم وسبوا نساءهم . وغيروا اوقات الصلاة . ومنهم من اكل وشرب على منبر الرسول صلى الله عليه وسلم . ونهبت الحرم وصلبت المسلمات في دار الاسلام بالبقيع . لا احد آذى النبي صلى الله عليه وسلم مثل بني أمية وكان صاحب هذه الفتنة مروان بن الحكم الذي صارت اليه الخلافة بالغلبة و توارثها بنوه من بعده وكان رجلا لا فقه له ولا يعرف بزهد ولا برواية الاثار ولا بصحبة . فكان مروان اول من شق عصي الاسلام بغير تأويل (وروي) عن معاوية رضي الله عنه انه قال لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما انشدك الله يا ابن عباس اما تعلم ان رسول الله صلي الله عليه وسلم ذكر هذا يعني مروان ابن الحكم فقال ابو الجبابرة اربعة فقال معاوية اللهم نعم . وقال ابو بكر بن عبد الله المزني اسلم يهودي اسمه يوسف وكان قرأ الكتب فمر بدار مروان فقال ويل لأمة محمد من اهل هذه الدار فقلت له الى متي فقال حتي تجيء رايات سود من قبل خرسان . اخرج

ابن اسحاق عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه في قوله عز وجل (وأحلوا قومهم دار البوار قال هما الأفجر ان من قريش وبنوا أمية وبنوا المغيرة فاما بنوا المغيرة فقد قطع الله دابرهم يوم بدر واما بنوا أمية فتمتعوا الي حين . وقد جاء من طرق عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت في النوم بني الحكم او بني ابي العاص ينزون على منبرى كما تنزوا القردة) قال فما رؤي النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعاً ضاحكاً حتي لقي الله . (وعن سعيد بن المسيب)قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم بني أمية على منابرهم فساءه ذلك فاوحي الله اليه (انما هي دنيا اعطوها فقرت عينه وهي قوله تعالى) وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس) يعنى بلاء . ورأي بعضهم الامام علياً في ليلة يومها السابق قتل فيه الحسين واقاربه رضي الله عنهم وسبوا فيه حريمهم وركبوا نساءهم على الاقتاب حواسر . فقال له الرأى ياامير المؤمنين لما فتحتم مكة ناديتم من دخل دار أبي سفيان فهو أمن . ولماملك بنوا أمية قتلوا الحسين وسبوا الحريم فقال له الامام جوابك عند الشاعر فاستيقظ من النوم وتوجه ليلا الي بيت الشاعر فطرق الباب عليه فخرج له فاخبره بما رأى في منامه فقال الشاعر عملت ابياتاً فى نفس هذه الليلة وما علم بها احدٌ حتى زوجتى وانشده على لسان بني هاشم

ملكنا فكان العفو منا سجيةً ... ولما ملكتم سال بالدم ابطحُ
وحللتم قتل الاساري وطال ما ... غدونا على الاسرى نفادى ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل اناء بالذى فيه ينضح

وقال عبد الله بن عتبة كان لعثمان بن عفان رضى الله عنه يوم قُتل

زنة مائة الف وخمسين الف دينار والف الف درهم وترك الف فرس والف مملوك ببيراريس وخيبر ووادى القري ما قيمته مائتا الف دينار . وكانت الدنيا فى كفه لا في قلبه صبر عنها حين فقدت وشكر الله حين وجدت . ذكره بن عطا الله في كتابه العروس . وافتتح في ايامه سابور وافريقية وسواحل الادرن واصطخر الاخرة . وفارس الاولى . وطبرستان وكرمان وسجستان والاساورة

(فصل فى ذكر ظهور آل عثمان ونسبهم الشريف)

الى سلطان ما بين الغبرا والخضرا (محمد الاوان) ادام الله ملكه مادام الزمان) وهم من زرية الامام امير المؤمنين عثمان بن عفان كما ذكره العلامة محمد بن اياس في تاريخه . ونقل صاحب درر الاثمان . ان اصل منبع آل عثمان من صهيم عرب الحجاز . وزاد جماعة من اهل التاريخ انهم من المدينة الشريفة . ذكره الحنبلى في تاريخه . ونقل المقريزي في تاريخه (جواهر العقود الفريده في تراجم الاعيان المفيده) فقال ان اصل بني عثمان من الحجاز وان عثمان الاول قدم من المدينة النبوية على الحالّ بها افضل الصلاة والسلام . الى بلاد قرمان ونزل قونيا فاراً من الغلا الذى كان بالحجاز والشام واتصل ببني قرمان باتباع السلطان علاء الدين كتبا دين . وفى اعوام بضع وخمسين وستماية تزيا بزى اهل قونيا وصار يخرج مع السرايا الى بلاد الروم ويغزوهم ويغتنم منهم (فولد له بقونيا سليمان بن عثمان) فسلك طريقة ابيه فى الغزو مع السلجوقية والقرمانية وعرف بينهم وظهرت له فروسية فافتتح عدة حصون . (وولد له عثمان بن سليمان) فعظم شأنه . وصارت له

اتباع كثيرة فخرج . عن طاعة السلجوقيـة . والقرمانية ووصل غزو الـكفار . وافتتح برصة في حدود الثلاثين والسبعماية . واستوطنها وافتتح ما يليها من الحصون . والبلاد فاتسعت احواله وكثرت امواله (مات عن ابنه اردن على بن عثمان بن سليمان بن عثمان) فأربي على ابيه وفتح الله على يديه الحصون والبلاد التي بخليج القسطنطينيـة فحاصره ملوك الروم وخشوا تسلطه عليهم . وكانت ممالكة الروم اذ ذلك منقسمة بين جماعة وهم اولاد آمرين اصحاب ابا سلجوق . وبين اصحـاب قيصرية وسيواس الي الاطراف وبين قرمان اصحاب قونية الى تخوم طرسوس وبنى تكي اصحـاب انطاكيا والعليـا وبني كرمان اصحاب تنقرلوا وملاطية . وبني ابي يزيد اصحاب تستمولية وبنوا ابراهيم اصحاب ازريكان فنشر اردن العدل فى اعماله وقرب العلماء والصلحاء وعمر الخوانك والزوايا والتكايا وقام من بعده ابنه اورخان

(سلطنة مولانا السلطان اورخان)

سنة ستة وعشرين وسبعماية وسنه خمس وثلاثون سنةوفتح برُسا وجعلها مستقر سلطنته وافتتح عدة قلاع وحصون وكان له صولة عظيمة على الكفار وحروب مشهورة مع النصارى وكانت مدة سلطنته خمسا وثلاثين سنة

(ثم تولى الملك مروان الغازى بن)

(السلطان اورخان)

وجلس على تخت السلطنـة الشريفـة فى بورسا سنـة احـدى وستين وسبعماية . وكان عمره اربعا واربعين سنـة . ومات فى

سنة اثنين وسبعين وسبعماية عن خمس وستين سنة من عمره ٠ وكانت مدة سلطنته احدي وثلاثين سنة وكان حلوا أسمر اللون اقني الانف فلم يرض بما في يده مما فتح اباؤه ٠ وركب البحر ولم يركبه احد قبله من ابائه ٠ واخذ ما يقابل (كالى بولى) من البلاد التي هي قبل خليج القسطنطنية وعدى الى كالي بولى ونازلها حتي أخذها وبث جيوشه فيما وراء الخليج ففتح ارض قسطنطنية شيئاً بعد شيء حتى نزل عليها وحاصرها أشد حصار فأتتها نجدات الروم والافرنج ٠ والافلاق والاتكر والروس والبلغار ٠ والارنؤت في عدة طوائف أخر ٠ فأيده الله عليهم حتى اجابوه الى دفع الجزية اليه وقرروا في كل عام مبلغاً يقومون به وعدة من الخيل والرقيق ٠ وان يقيم بداخل القسطنطنية قاض يحكم بين الروم والمسلمين بشريعة الاسلام ٠ وشرط عليهم ان قاضيه يحكم فلا ينقض حكمه وان له ان يحكم بنقض ما حكم به الملك فالتزموا له ذلك ثم تطاول ووالى ارسال الجيوش والعساكر لغزو طوائف الكفر حتى قام غالبهم بالجزية عن يد وهم صاغرون وصار لا يقيم ببلدة بل لا يزال في الغزو والجهاد وبالغ في اظهار العدل وحمل الكافة عليه وجعل سائر الامور منوطة باحكام الشرع ٠ فكان لا يتعاطى هو ولا أحد من الحكام بين الناس سوى بحكم القاضي العالم الزاهد الذى لا يأخذ رشوة وجعل للقضاة معالم مقدرة على بيت المال ٠ وكان الرجل اذا شكي غريمة للقاضي يأتي بعلامة القاضي فلا يستطيع احد مخالفة تلك الورقة وتسمى عندهم نيشان القاضي اى علامته ولا يستطيع احد مخالفتها ولو كان السلطان هو المطلوب بل يبادر عند ما يراها ويحضر مع غريمه الى القاضي حتى يمضي فيه

حكمه . وشرط على القضاة ونواب الامر أن من تولي امرا فى شهر من السنة فاذا ادركه ذلك الشهر من قابل يجلس بجامع البلد ويطلب اكابر إسواق البلد التى هو قاضيها او أميرها فيحضر كبير من كل سوق ومعه اهل سوقه ويحضر كامل الطوائف باكابرها ويكتبون جميعهم محضرا بسيرته لهم ايام ولايته عليهم ثم تُوجه بالمحضر الى السلطان فاذا قرأ عليه اما يعيده الى عمله او يصرفه عنه ويولي غيره . وكان اكثر ما يستمر الحاكم فى ولايته عامين ومن ظهر عليه انه ظلم احداً في قليل أو كثير فانه يُعلق منكوساً حتي يموت ويؤخذ جميع ماله لبيت المال فلذلك تناهي كافة الناس عن الظلم في جميع مملكته وكان مع ذلك حسن الاعتقاد في أهل الدين والعلم من الصلحاء والعلماء يبالغ في ذلك حتى يخرج فى اعتقادهم عن الحد . وهو أول من اتخذ المماليك وسماهم (بينجشرية) يعني العسكر الجديد والبسهم اللباد الابيض المتني الى خاف واجتمعت ملوك النصارى على سلطانهم فقاتلهم السلطان مراد قتالا عظيماً وقتل سلطانهم وانهزم الكفار فاظهر واحد من ملوكهم الطاعة وتقدم ليقبل يد السلطان فلما قرب منه اخرج خنجراً كان اعده فى كمه فضرب به مولانا السلطان مراد . فاستشهد الى رحمة الله ومن محاسن مولانا السلطان . ما كان ياكل الا من كسب يده . ولم يتعرض لشئ من بيت مال المسلمين ومن مشايخ زمانه ولي الله تعالي العارف به الشيخ بكتاش شيخ طائفة الينجشرية كان من اصحاب الكرامات وارباب الولايات . قبره ببلاد التركمان . وعلى قبره قبة . وعنده زاوية تزار ويتبرك بها ويستجاب عنده الدعاء نفعنا الله ببركاته .

(ثم تولى السلطان يلدريم)
(بايزيد ولده)

وعمره اثنان واربعون سنة وجلس على تخت السلطنة الشريفة سنة احدي وتسعين وسبعماية . وكان من عادته ان لا يتعرض لاموال احد من رعيته من مات ولا وارث له يتولي القاضي امر ما خلفه وقد استولى على كثير من بلاد النصارى وقلاعهم واراضيهم وصارت النصارى تلجاء الي ملوك الطوائف وضيق على جماعة منهم مثل ابن كرمان أخذه وحبسه مع أحد وزرائه ففر مع وزيره من الحبس ومضي الي تيمورلنك وهرب ايضاً والى منتشا وخلق لحيته وحواجبه . وكذلك ابن ابي الدين هرب في صورة سقطى وكذلك ابن اسفنديار وغيرهم من امرا تلك الديار وملوكها وتوصلوا الى تيمور وشكوا من مولانا السلطان بايزيد خان وحسنوا له المجيء الي بلاد الروم . فوصل الى البلاد الشامية والحلبية وقتل فيها وفتك وسفك الدما وأخذ البلاد وأسر اهلها . فوصل تيمور الى ازدريخان وخرج السلطان بايزيد لقتاله وجمع عساكر الروم . ولما التقى الجمعان بقرب بكوزية هرب من عساكره طائفة التتار وعسكر منتشا وعسكر كرمان وتركوا مولانا السلطان بايزيد وحده وهو يوالى تيمور ووقع بينهم الحروب الشديدة وقتل من اولاد السلطان بايزيد السلطان مصطفي وشرع عسكره في الانهزام وثبت هو ومن معه قليلا يقاتل الي ان وصل الى تيمور وقد عجزوا عنه لشجاعته وقوته فرموا عليه بساطاً ومسكوه فحصل له حمى عضليه فتوفى الى رحمة الله . وكانت مدة سلطنته ستة عشر سنة . ثم

تخلف من بعده اولاده وهم السلطان عيسى والسلطان موسى والسلطان سليمان والسلطان قاسم ومولانا السلطان محمد وصار بينهم النزاع نحو اثني عشر سنه وقتل بينهم خلق كثير الي ان استقرت السلطنة الشريفة (للسلطان محمد بن السلطان بايزيد) في سنة ستة عشر وثمان مايه وعمره تسع وثلاثون سنة وكان شجاعاً مقداماً مجاهداً في سبيل الله وافتتح عدة بلاد . منها قلعة قسطمونة . وقلعة اسكوب . وقلعة ساموت وغير ذلك من القلاع المنيفة (وظهر في زمانه بدر الدين بن سماونه) وادعي السلطنة وجمع جمعاً عظيماً من مريديه . فحين بلغ السلطان محمد ذلك ارسل عسكرا لقتاله فقتل من مريديه ثلاثة الاف نفر ومسك بدر الدين وقتل . وكان يرمي بسوء الاعتقاد وله رسائل يشير فيها فصلبه السلطان محمد وسكنت الفتنة . وفي ايامه ايضاً خرج محمد بن قرمان وولده مصطفى عن الطاعة واحرق بورسا فجاء السلطان محمد من بلاد اورملي ووصل الي قونية ووقع بينه وبين محمد بن قرمان حروب عظيمة مشهورة ومسك محمد بن قرمان وولده مصطفى واُتي بهما اسيرين الي السلطان محمد . فعاتبهما وعفى عنهما واعطاهما مملكتهما (فانظر الى هذه الخصال الحميدة والاراء السديدة فكانت مدة سلطنته تسع سنين وتوفي بمرض الاسهال . فيكون له رتبة الشهادة . وذلك في سنة خمس وعشرين وثمان مائة فرحمه الله رحمة واسعة

(ثم تولى السلطان مراد الثاني بن السلطان محمد)

جلس على تخت السلطنة سنة خمسة وعشرين وثمان مايه وعمره ثماني عشر سنه وكان ملكا عظيماً مقداماً فاتكا فتح الفتوحات ومهد الممالك

وأمن السالك واذى الكفار والملحدين واعز الاسلام والمسلمين. الى ان انتشى ولده محمد فرأى نجابته وعرف اقباله وشهامته فخلع نفسه بنفسه من الملك لولده الآتي ذكره وذلك في سنة ستة وخمسين وثمان مايه وكانت مدة سلطنته ثمانية وعشرين سنة توفي وهو مخلوع من الملك في سنة اربع وستين . كان ملكا جليلا . مهاباً . نبيلا . وكانت ايامه حسنة الايام وسلطنته عليها المقام . جمع المحاسن . وارسل الصر لاشرف الاماكن . وفتح بلاد سدوة وقلعة بورة وغيرهما

(ثم تولى السلطان محمد بن السلطان مراد) .

وجلس على التخت في حياة والده في سنة ستة وخمسين وثمان مايه وسنه ستة وعشرين سنة وتوفي سنة سبع وثمانين وثمان مايه وكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة . وكان من اجل ملوك بني عثمان واكثرهم جهاداً للكفرة اهل الطغيان . وكان متوكلا على الله سبحانه وتعالى . وهو اساس ملك هذه الدولة العثمانية ومن اعظم سلاطينهم واقواهم اقداماً ومرتب قوانينها . له غزوات كثيرة من اعظمها فتح القسطنطنية الكبري . وساق اليها السفن رخاء تجرى برا وبحرا وحاصرها خمسين يوماً وفتحها في اليوم الحادى والخمسين . وهو الرابع والعشرون من جمادى الاخرة سنة سبع وخمسين وثمان مايه وصلى في اكبر كنايس النصاري صلاة الجمعة وقد عمل بعض الفضلاء لفتح القسطنطنية تاريخا وهو (بلدة طيبة) وذكر علماء التاريخ أن مدينة القسطنطنية كمل بناءها في اربعين سنة . وكان اسمها قبل ذلك البرنطية ومات قسطنطين في منتصف سنة ست وعشرين وست ماية من تاريخ

الاسكندر . وهي مدينة مثلثة الشكل جانبان في البر وجانب في البحر ولها سور سمكه احدي وعشرون ذراعاً والآن صارت القسطنطنية معدن الفخار والعلا ومقر السلطنة الشريفة العثمانية . واجتمع فيها اهل الكمالات من كل فن فعلماؤها اعظم علماء الاسلام واهل حرفها ادق القطا في الانام . وقد ضبط زمن المرحوم ذكريا افندي سنة ٩٠٢ فوجد بها من محلات المسلمين ثلاثة آلاف وتسع ماية وثمانين محلة ومن الجوامع اربع ماية وثمانية وثمانين جامعاً ومن المساجد اربعة آلاف وخمس ماية وست وتسعين مسجدا . ومن مكاتيب الاولاد الف وستماية واربعة وخمسين مكتبا . ومن المدارس خمس ماية وخمسة وثمانون مدرسة ومن التكايا ماية تكية . ومن الخانات ماية وخمسة وخمسون خانا ومن الزوايا ثمان ماية وستة وثمانين زواية . ومن الششمات تسع ماية وخمس وسبعون ششمة . ومن الحنفيات اربعة الاف واربع ماية وثمانون حنفية ومن الفرانات الفان ومايتان وخمس وثمانون فراناً . ومن اسواق الاسباب تسع ماية وخمسة وثمانون سوقا . ومن الحمامات الف حمام . ومن البوزخانات ثمان ماية وخمس وثمانون بوزة . ومن القهاوى الفان وثلثماية واثنان وخمسون قهوة . ومن محلات النصاري اربعة الاف وتسع ماية . ومن محلات اليهود اربعة الاف وتسع ماية وخمس وثمانون محلا ومن الكنايس ماية وخمس واربعون كنيسة . ومن الميخانات اربعة الاف وخمس ماية وثمانية وخمسون ميخانات . وذلك خارج عن ما تجدد بعد ذلك من المحلات والجوامع وحمامات البيوت وغير ذالك . والذى ضبط

في مملكة آل عثمان من قضاة الاقصاب ما جملته خمسة الاف وتسع مائة وستون قاضياً . ما هو بقضاء اناضولي خمسة الاف وست مائة . وما هو بقضاء رملي ثلاث مائة وستون قاضياً . وذلك خارج عن الموالى والدنشمانية . والملازمين . وقال الاسحاقي في تاريخه قد سمعت من شخص من العسكر المنصور ان بالقسطنطنية الآن من العسكر المنصور ما هو من الينشرية اربعون الفا وحدثني . سليم كدخداى مستحفظان ان عدة الينشرية الان في اصطنبول ثمانون الفا . ومن الاسباهية ستون الفا . ومن عجم يغلان اربعة وعشرون الفاً . ومن السراجين ثلاثة عشر الفا . ومن الجبجيان ثلاثة عشر الفاً ومن الغربان اثنى عشر الفا من الطوبجية سبعة الاف وذلك خارج عن المفتين والوزراء والموالى والجاويشية والمتفرقة والزعمة والمتقاعدين والصناجق . والقابوجية والاغوات والطباخين . وبازرجان . والخواتين والنساء والمصاحبين . وارباب الالات . وما لهؤلاء من الاتباع والخدم . وما لكل مملكة من ممالك آل عثمان مثل مصر والشام . واليمن . والحجاز والثغور والبنادر والحصارات . والشرق والغرب من العساكر والاجناد مما يعجز عنه الوصف . واخبرت أن في يوم جلوس المرحوم السلطان عثمان ابن السلطان أحمد صرف الترق للعسكر المنصور فبلغ قدر خزينة مصر سبع كرات . فسبحان مالك الملك جل جلاله

(قف على ما في بغداد)

والشيء بالشيء يذكر . قال الاسحاقي في تاريخه كان ببغداد ثلاثون الف مسجد وخمسة آلاف حمام . ويقال ان حماماتها

حصرت في وقت من الاوقات فكانت ستين ألف حمام . كل حمام يحتاج على الاقل الي ستة انفار . وفي مثل ليلة العيد يحتاج كل نفر الى رطل صابون له ولاولاده وعياله فهذه ثلاث مائة الف وستون الف رطل صابون وكانت مشحونة بالعلماء والفضلاء وارباب الصنايع النفيسة والآن غالبها خراب . وقد تغيرت اوضاعها . وخلت من العلماء والافاضل بقاعها . وقد اخبرني من اثق به من افاضل الرجال أنه توجه اليها ومكث بها مدة فلم يجد بها من يحسن شيئاً من المسائل الفقهية بل ولا غيرها وكان السلطان المذكور اميرا في حياة والده على مدينة وقد ارسل اليه والده عدة من المعلمين فلم يمتثل من امرهم شيئاً ولم يقرا حتى يختم . وطلب السلطان المذكور رجلاً مهابا فذكروا له المولي الكوراني فجعله معلماً لولده . واعطاه بيده قضيباً ليضربه اذا خالف امره فذهب اليه ودخل عليه والقضيب في يده . فقال ارسلني والدك للتعليم والضرب اذا خالفت امرى فضحك السلطان محمد خان من هذا الكلام فضربه المولي الكوراني في ذلك المجلس ضربا شديدا حتي خاف منه السلطان محمد خان . وختم القرآن في مدة يسيرة ففرح بذلك السلطان مراد خان وارسل الى المولى الكوراني اموالا وهدايا عظيمة ثم ان مولانا السطان محمد خان لما جلس على سرير السلطنة بعد وفاة والده المرحوم عرض على المولي الكوراني المذكور الوزارة فلم يقبل وقال ان ببابك من الخدام والعبيد انما يخدمونك لان ينال الوزارة أحد منهم واذا كان الوزير من غيرهم تنحرف قلوبهم عنك فيختل امر السلطنة فاستحسنه السلطان محمد خان وعرض عليه قضاء العسكر فقبله ولما باشر

القضاء اعطى التداريس والقضاء لاهله من غير عرض على السلطان فرحم الله ارواحهم (ثم تولى السلطان بايزيد الثاني ابن السلطان محمد) تاسع عشر ربيع الاول سنة ستة وثمانين وثمانمايه وعمره اذ ذاك ثلاثون سنة . وهو من اعيان سلاطين آل عثمان . وظهر في ايامه من بلاد العجم اسماعيل بن الشيخ حيدر سنه تسعماية وخمسه وكان له ظهور عجيب واستيلاء على ملوك العجم يعد من الاعاجيب وفتك في البلاد وسفك دماء العباد واظهر مذهب اهل الرفض والالحاد وغير اعتقاد اهل العجم الي الفساد . واخرب ممالك العجم وازال من اهلها حسن الاعتقاد والله يفعل ما اراد . وتلك فتنة باقية في غالب البلاد

﴿ حكاية عجيبة ﴾

وهى ان السلطان بايزيد حذره منجم حاذق من اهل عصره ان هلاكه على يد ولد يولد له وكان له عدة اولاد فكان التحذير قبل ان يولد سليم فطلب السلطان بايزيد معتمدة عنده بيدها جواريه الموطوآت وهى القابلة لمن تضع حملها منهن وكانت من الصالحات الخيرات . فقال لها اذا وضعت احدى الجوار بعد الآن صبياً . فاقتليه ولا تدعيه حياً فان ولدت انثى اتركيها واكد عليها في ذلك غاية التاكيد واستمرت على ذلك الى ان ولد السلطان سليم فتناولته القابلة لتخنقه فرأت صورته جميلة . فرقت وقالت في نفسها باي وجه التي الله تعالى في قتل هذا الطفل المعصوم والله لا اقدر على قتله وقالت لابي يزيد قد جاءت لك بنت جميلة حسنة الصورة فلما اخبر بذلك سماها سليمة واستمر الحال مكتوما لا يعلمه غير القابله والام والله تعالى . وصار كلما كبر وانتشا

ظهرت عليه سيمة الغلبة والقهر فاذا اجتمعت البنات وجلس بينهن لطم التي بجانبه وضرب ونهب ما بايديهن من ملهوبات الاطفال وكانوا يحذرون منه. فدخل السلطان بايزيد داخل السرايا في يوم عيد وامر بالمكان ان يطيب ويزين واستدعي ببناته واجلسهن بين يديه وامر ان يوضع بين يدى كل واحدة منهن أنواع الحلاوى والفواكه واحضر بينهن السلطان سليم فشرع السلطان سليم في سطوته وعادته في خطف ما بأيديهن من الحلاوى والفواكه والكل بين يديه خائفات منه فعجب السلطان بايزيد وصار يتأمل في اثنا ذاك وصار السلطان سليم يضرب البنات ويلسعهن. فقال السلطان بايزيد للنساء الواقفات هذا لا يكون بنتاً اكشفوا لي عنهن فبادرت القابله وقالت نعم هو صبيٌّ وليس بنتاً فقال لها وكيف خالفتي امري وماقتلتيه فقالت خفت الله وخلصت ذمتك من هذا الولد المعصوم ولا ذنب له فتفكر طويلاثم قال ما قدره الله فهو كائن لا مفرّ منه. وكل بقضاء الله وقدره وقد أخبر عنه أرباب الدولة وسماه سليمٌ وأحسن في تربيته وشكر القابلة على صنعها الذى فعلته وما ترعرع السلطان سليم حتى أخذ يغزوا مع عساكر والده وكان ذا شجاعة ومهارة شهماً مهاباً حتى مالت اليه قلوب الناس لشجاعته . وقد أخذ في السعي وراء فتح الحصون والقلاع وتجمع حوله جيشاً جراراً وقصد السفر بجيشه الى بلاد اليمن وغيرها فمنعه والده فلم يقبل فبعث والده له فرقة من العساكر تحت قيادة احد الوزراء ليحضروه قهراً فأخذ يحاربهم بقوّة فسرّ والده لشجاعته واقدامه حيث كان مناظراً لهم ثم أمر الوزير بمهاجمته كي يري قوة ابنه فهجم عليه

فكسره السلطان سليم ثم عطف على والده ثانياً لما أرسل العسكر اليه فكسر والده . فلما رأى السلطان بايزيد ميل العساكر وارباب الدولة لولده فاستشار بعض وزرائه فى امر مولانا السلطان سليم فاشاروا عليه بتسليم الملك له وابرموا عليه فى ذلك . فلما رأى أن لا بد من تسليم الملك لولده . فعهد اليه بالسلطنة وخلع نفسه منها وتقاعد بادرنة فعند ذلك ذهب اليها فمات فى طريقه رحمه الله في سنة ثماني عشر وتسع مائة فكانت مدة سلطنته اثنين وثلاثين سنة (ثم تولى السلطان سليم بن السلطان بايزيد فاتح مصر) وهو بن مولانا السلطان بايزيد خان جلس على تخت السلطنة بعد خلع ابيه فى سنة سبع وعشرين وتسعماية وكان عمره اذ ذاك ستة واربعين سنة وتوفي عن اربعة وخمسين سنة من عمره وكانت مدة سلطنته تسع سنين وثمانية اشهر وكان سلطانا قهارا ذا هيبة وشهامة متكاثرة كثير التفحص عن اخبار الناس . وكان فى التجسس له النهاية . واتخذ الجواسيس لنقل الاخبار . ومهما نقلت عمل بمقتضاها . وله مكشف عن اخبار الملوك فكان يغير زيه ولباسه ويتجسس في الليل والنهار . ويطلع على الاخبار وله عدة مصاحبين تحت القلعة وفي الاسواق والجمعيات والمحافل . ومهما سمعوه ذكروه له فى محل المصاحبة . وكان كثيرا المطالعة للتواريخ جمع منها جملة كثيرة بالتركية والعربية وغيرها وكان حسن النظم بالتركية والعربية والفارسية . ثم لما تولى السلطان سليم على سرير السلطنة وفرغ من دفن والده خرج لقتال اخيه السلطان احمد فقهره وغلبه . ثم فر اخوه السلطان احمد فتوجه الي كهف جبل فعرف مكانه فقبض عليه وجيء به اليه

فخنقه . ثم شرع فى قهر اعداءه وأخذ ممالك من الملوك فبدا بقتال شاه اسماعيل فكسره وهزمه واسماعيل المذكور هو اول من اظهر الرفض في بلاد العجم . ووضع التاج الاحمر على رؤس عسكره فسموه قزلباش . وكان بينه وبين الغورى مصافاة ولاجل ذلك ارسل الغوري الي جهات حلب يمنع القوافل عن الذهاب الى عسكر مولانا السلطان سليم بالميرة محبة فى شاه اسماعيل . فلما رجع السلطان سليم الى سرير ملكه بعد اخذ شاه اسماعيل سأل عن سبب تأخير القوافل فاخبر بان سبب ذلك السلطان الغوري فغضب من ذلك وتحرك فيه الهمة العلية والمروؤة البنية السنية . لاخذ مصر وازالة دولة الجراكسه واخذ ما بايديهم من الممالك . فتوجه الى مدينة حلب بعسكر عظيم فى سنة اثنين وعشرين وتسعماية وخرج الي قتاله السلطان الغوري بجميع عساكره من الجراكسه وغيرها وتلاقي العسكران بقرب مدينة حلب في محل يقال له مرج دابغ . وكان الغوري يتوهم ويخاف على نفسه من ملك الامراخير بك ومن الغزالي وكانا يكرهانه فى الباطن ويكرههما كذلك فأمرهما أن يتقدما الى قتال السلطان سليم وجعلهما وعسكرهما حجابا . ووقف الغوري بخواص عسكره الذي يعتمد عليهم من الجلبان الذى اراد أن يقدمهم خلف خير بك والغزالي . وقصد بذلك ان يقتلا بالبنادق والمدافع في اول مرة ويسلم هو ومن معه وتفطن خير بك والغزالي الي قصده . فارسلا للسلطان سليم وطلبامنه الامان فأمنهماوعهد لهما مما يطيب خاطرهما وان يولي مملكة مصر لخيربك . والشام للغزالي فقبلا منه ذلك . ووقفا على ذلك بعد القتال . فلما تلاقيا العسكران

وكان خير بك واتباعه في الميسرة ففر خير بك بمن معه . والغزالى بمن معه . وبقي الغوري بمن معه من خواصه وجلبانه في القلب . واطلقت البنادق والمدافع فهلك من هلك وهرب من هرب وغار الغوري تحت سنابك الخيل . والغورى هذا من الحادي والعشرين من ملوك الجراكسة تولى السلطنة في سنة ست وتسع ماية . وكان قانصوه الغوري كثير الدها ذا رأى وفطنة وتيقظ الا أنه كان شديد الطمع بخيلاً محباً للعمارة ومن جملة عماراته الجامع والتربة بالقربين بين القصرين . وكان نيته ان يدفن فيه . ووقف عليها اوقافا كثيرة وما قدر الله له ان يدفن بها بل ذهب تحت سنابك الخيل وما عرف مكانه أحد (وما تدرى نفس بأى ارض تموت) وله آثار جميلة فى طريق الحج فى عقبة اليساء ومأثر بمكة المشرفة وغيرها . وكان يحفظ حرمته على الامراء بالدراية والتنزل معهم من غير تشديد عليهم ولا اظهار عظمة وامر او نهي وذلك في ابتداء امره الى ان تمكن من قوته وبأسه . وحكى مولانا الشيخ شهاب الدين احمد بن عبد الغفار المغربيّ الاصل . قال استشم الغوري مبادي فتنة اراد الامراء احداثها وارادوا ان يجماوها مقدمة لخلعه من السلطنة فلما استشعر ذلك منهم عمل ديوانا جمع فيه الامراء والمقدمين وامرهم بالجلوس وجلس بينهم واخذ يلاطفهم ويحادثهم مظهرا لهم الميل الزائد والمحبة الخالصة مع الصلاح والتقوى حتي طمن قلوبهم بعد ان كانت واجلة خائفين ان يكون علم بفتنتهم وبعد ان حادثهم كثيراً قال لهم انى ادعوكم لتناول الطعام على مائدتى اظهارا لرضائه عنهم فلبوا دعوته فامر باعداد الطعام . وبعد ان أعد امر باحضاره فحضرا واكلوا منه وقد كان دس لهم الدسائس فى الطعام من السم ونحوه

حتى افني قرانصتهم ودهاتهم الا قليلا منهم • واتخذ مماليكاً لنفسه جددا واستجلب جلبانا • واعد عددا فصاروا يظلمون ظلماً ويعاملون الناس عسفا وصار يغض عنهم ويتمامي لهم فاظهروا الفساد واهلكوا العباد واكثروا العناد • وطغوا في البلاد وصار هو ايضا يصادر الناس • ويأخذ اموالهم بالقهر والبأس وكثرة الدوانية في ايامه لكثرة ما يصغي اليهم وصاروا اذا شاهدوا متسعاً في دنياه • اومظاهر التجمل في ملبسه او مثواه وشوا به الى السلطان فيرسل له الاعوان ويطالبه بالقرض ويستصفي اموالهم ويسلمهم الى سو باشي يأخذ مالهم ويهلك اهلهم وعيالهم الى ان يصير فقيراً بعد غناه ومعدوماً بعد ثروته • واستغنائه وجمع من هذا الباب اموالا عظيمة وخزاين وسيمة ذهبت في آخر الامر سدا وتفرقت بيد العداه وتمزقت بددا وهكذا كل مال يؤخذ على هذا الاسلوب • وجمع بهذا الطريق المنكوب لا ينفع من جمعه بل يضر صاحبه ويهلك من معه . واما الميراث فبطل في زمانه • وصار اذا مات انسان يؤخذ ماله جميعاً للسلطنة ويترك اولاده فقراء وكثر ظلمه واشتد طمعه في آخر ايامه فاستجاب الله فيه دعاء المظلومين (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) • حكي عن شخص مجاب الدعوة من اولياء الله تعالى انه رأي بمصر في آخر ايام السلطان الغوري جنديا من الجراكسة الجلبان أخذ متاعاً من دلال ولم يرضه في قيمته فتبعه الدلال يطلب حقه وهو ممتنع منه فقال له الدلال بيني وبينك شرع الله فضربه بالدبوس فشج رأسه وسقط مغشيا عليه ومضى الجندي بالمتاع وما قدر احد من المسلمين على منعه فيما فعل وصعب هذا الحال على ذلك الشخص فرفع يده الي الله تعالي ودعا على الجندي

المذكور وعلى سلطانه وعلى الظلمة من اعوانه فصادف ساعة الاجابة تلك الليلة . قال وبت تلك الليلة على طهارة وانا متفكر في امرهم . واحدث نفسي بذلك واقول كيف يزول ملك هذا السلطان العظيم قد ملاء من جنوده الارض . وأنى للمسلمين بسلطان آخر يرفق بالرعايا . وتطمئن في دولته البرايا واخذني النوم فنمت فرأيت فيما يرى النائم ملائكة نزلت من السماء . وبايديهم مكانس . وهم يكنسون الجراكسة من ارض مصر ويلقونهم في بحر النيل فاستيقظت من النوم واذا بقارى يتلوا القرآن فانصتُّ له فاذا هو يقرا قوله تعالي فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين . فعلمت ان الله يأخذهم أخذا وبيلاً فمامضي قليل الاوبرز الغوري بجنوده وامواله وخزاينه من مصر لقتال مولانا السلطان سليم خان . وحصل له ما حصل واقبلت رايات اقبال مولانا السلطان سليم خان على قلعة حلب الشهبا وطلب اهلها منه الامان فاجابهم الي سؤالهم كرماً منه وخرجوا الى لقائه بالمصاحف والاعلام وهم في غاية من التسبيح والتهليل فقابلهم بمزيد الاجلال والتعظيم واكرمهم بانواع الصدقات واكرم اهلها بوافر الكرامات وصلي صلاة الجمعة بها وخطب الخطيب باسمه الشريف . فقال الحمد لله الذى حصل لي هذا المقام وحين نزل الخطيب من منبره خلع عليه جميع ما كان لابسه من مفاخر اللباس . ثم توجه رحمه الله بالجيش المنصور الى الشام فخرج اهلها الى لقائه . ايضاً وطلبوا منه الامان فاجابهم الى سوالهم فبالغوا في الدعاء له وخلع على كل من يستحق التشريف . واحببت ان الخص ما ذكره صاحب القانون

العلامة احمد بن زنبل وان كان هو مغرض لجانب الجراكسة يكاد تعبيره ينصرهم لو لا ان الله خذلهم ولا غرابة على من ينصر دولة هو اشراقها بسيف لسانه وبتحبير بنانه شعر

لئن فاتني نصرى لكم بمهند　　فأن لساني بالثناء طويلة

وقد ذكر بن زنبل في القانون ان مولانا السلطان سليم رحمه الله لما رجع الى الديار الروميه اخذ معه سيدي محمد بن الغورى والشيخ احمد رمال الغورى لاجل المحادثه . قال سمرنا ليلة من الليالى مع حضرة السلطان سليم فقال لي ياشيخ احمد ان كنت ارخت سيئات الغوري كما أرخت حسناته فأنت منصف . وان كنت تركت سيئاته وكتبت حسناته لاجل خاطر ولده سيدي محمد ما انت منصف . فقلت له انا ما رأيت للسلطان الغورى سيئات حتى اكتبها . وغلبني النوم فنمت . بحضرة السلطان سليم فرأيت السلطان الغورى في النوم وهو يقول لي جزاك الله عني خيرا فيما اجبت به عنى السلطان سليم . فقلت له ما فعل الله بك فى قتلك الامراء بمصر . فقال لي ياشيخ احمد ما سالني عنهم قط . اقول ولا غرابة على عفو الله وكرمه ويحتمل انهم كانوا يستحقون القتل . او ان الغورى حصلت له الشهادة . وما ترك القاتل على المقتول من ذنب . وكان شيخنا الاجهورى رحمه الله يرجح القول بان الحدود جوابر

﴿ قال جامع السيرة الكائنه بين الجراكسة وبنى عثمان ﴾

فاما السلطان سليم لما غزي العجم وجاز بالعساكر من على البيرة وكان نائبا على الدولة من جهة الغوري فأمر على الدولة اهل تلك الاقطار

ان لا يبيعوا لعسكر السلطان سليم شيئاً مطلقا من المأكل وغيرها فمات اكثر الناس والدواب لشدة الغلا وكان هذا سبب الحرب بينهما يعني الغوري وسليم . وحصل للسلطان سليم من الغم مالا مزيد عليه . وكان حادّ المزاج صعب الخلق فاراد ان يأمر العسكر بالحملة على تلك النواحي ويحاصر مرعش فاشار عليه وزراؤه بالتأني وان يرسل اليهم يُعلم بذلك الغوري فامر بكتابة مرسوم الى مالك مصر يخبره بما فعل عامله علا الدولة فاجابه الغوري بان علا الدولة عاصي امري فان قدرت عليه فاقتله واخلع على قصاده وارسلهم (ثم كتب الغوري مرسوماً الى علاء الدولة خفيةً يشكره على ما فعل ويغريه على قتال سليم ولا يمكنه من شيء ابداً . وكان قصد الغوري القاء الفتنة بين الاثنين رجاء ان يقتل احدهما او كلاهما فيكتفي شرهما فانه كان يعرف شدة باس كل منهما فقوي قلب علا الدولة على قتال سليم . فلما قرى جواب الغوري علم بفراسته انه خديعة له فتحملت نفسه من الغوري غاية التحمل . وكان ذلك سبباً لاثارة الفتنة بينهما حتى وقع ما وقع كما هو مشهور . ثم سافر سليم الي بلاد اسماعيل ووقع الاتفاق بينهما بان يبطلا النار ويتقاتلا بالسيف والعود . ولم يثبت سليم ساعة . وولى عسكره مهزوماً لان الروم لا قدرة له على ملاقاة من غير نار فعند ذلك امر اغات الينجشرية ان يرموا بالنار فما كان الا ساعة وانهزم اسماعيل شاه فاخذ السلطان سليم ماوجد من العجم وانثني راجعاً منصوراً . وكان قبل الحرب استشار السلطان سليم وزراه في قتال اسماعيل شاه حالاً اوحتى يدخل الصيف فاشاروا عليه بتأخير الحرب حتى يذهب البرد ارفق بالعسكر . فقال سليم الرأي نقاتلهم حالاً فان

قتلناهم شتينا فى بيوتهم وان قتلونا شتينا فى الجنة . وكان اسماعيل شاه الرافضي كاتب السلطان سليم ببيتي شعرهما

نحن اناس عيبنا فى الورى حب علىّ بن ابى طالب
تلومنا الناس على حبه فلعنة الله على العائب

(فاجابه السلطان سليم ولله دره)

ما عيبكم هذا ولكنه بغض الذي لقب بالصاحب .
وأفككم فيه وفى ابنته فلعنة الله على الكاذب

. قلت ومن تأمل بغض بني عثمان لارفاض العجم متأكد من ثلاثة اوجه اولها انهم لا يعتقدون ببيعتهم ثانيها ان اهل السنة لا يحبون المبتدعة . ثالثها بغضهم لابى بكر وذريته وآل عثمان بينهم وبين ابى بكر الصديق قرابة قريبة لا تنكر على ما ذكره بن اياس والمؤرخ العلامة الشيخ ابو السرور في تاريخه فان جدهم عثمان بن عفان رضي الله عنه بن ابى العاص ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف . واما ابو بكر الصديق رضي الله عنه فهو بن عثمان ابى قحافة بن عامر بن عمر . بن كعب . بن سعد . بن تيم . بن مرة يجتمع مع النبي صلى الله عليه وسلم فى مرة . وابو بكر وعثمان رضي الله عنهما من سادات قريش فاجتمع في قلوب بنى عثمان بغض العجم لقرابتهم ابى بكر وعمر ولخروجهم عن السنة . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشاً فان عالمها يملأ الارض علماً . اللهم انك اذقت اولها عذاباً وبالاً فأذق آخرها نوالا قد صادفت هذه الدعوة المباركة بني عثمان وصار سلطانهم سلطان الارض

فسلطنتهم ملكت مملكة كسرى وقيصر وهرقل والمقوقس والنجاشي وال حفص وغير ذلك

(ومن الدليل على ان الامامة لقريش)

خاصة دون غيرهم من سائر الناس . قال الله تعالى مخاطباً لنبيه صلى الله عليه وسلم (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) قال طائفة من السلف المراد بهذا الذكر الذى خصه به هو وقومه الامامة التي هي سياسة العالم . قالوا ولا يجوز أن يكون المراد به القرآن لانه ذكر له ولقومه . ولكل من بلغ من أهل الارض . قالوا ويرشدك الى ذالك قوله وسوف تسألون . وهو سؤال خاص عن أمر خاص وهو رعاية الامة . قالوا والذكر ينطلق في اللغة على الشرف والامامة شرف فى الدنيا والآخرة لمن أخذها بحق . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قدموا قريشاً ولا تقدموها) وقال (الناس تبع لقريش في هذا الشأن . وقال لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي من الناس اثنان . وهذا خبر بمعني الامر . وقال صلى الله عليه وسلم (من أهان قريشاً أهانه الله) وقال عليه السلام (الأئمة من قريش) وقد أعطى رسول الله صلي الله عليه وسلم الامامة لاهلها . فقال الناس تبع لقريش في هذا الامر . خيارهم في الجاهلية . خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا والله لو لا ان تبطر قريش لاعلمتها باخبارها عند الله . او قال بمالها عند الله وحديث معاوية رضى الله عنه مرفوعاً ان هذا الامر فى قريش لا يعارضهم احد الا اكبه الله علي وجهه ما اقاموا الدين اخرجه البخارى . ومن حديث ابن عباس رضى الله عنه . قريش اهل الله فاذا خالفتها

قبيلة من العرب صاروا حزب ابليس اخرجه الطبراني . وحديث سهل مرفوعاً . احبوا قريشا فان من احبهم أحبه الله اخرجه ابن عرفة فى حزبه

(وفى تسمية قريش اقوال)

نذكر منها ما ذكره الثعلبي سال معاوية رضي الله عنه عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما لم سميت قريش قريشا . قال لدابة في البحر يقال القرش تأكل ولا توكل وتعلوا ولا تعلا قال وهل تعرف العرب ذلك في اشعارهم . قال نعم . قال شاعرهم وقيل انه تبّع . وقيل الشمرخ .

وقريش هي التى تسكن البحر	وبها سميت قريش قريشاً
سلطنت بالعلو في لجة البحر	على سائر البحار جيوشاً
تأكل الغث والثمين ولا	تترك فيه لذى جناحين ريشا

هكذا فى الكتاب حتي قريش الابيات . وعن سليمان بن خيثمة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم . لا تعلموا قريشاً او تعلموا منها ولا تقدموا قريشا ولا تتأخروا عنها . وان للقرشي مثل قوة الرجلين من الناس يعني فى الرأي النافذ والشدة والبأس . وعن زيد ابن اسلم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال . صلب الناس قريش وهل يمشى الناس الرجل بغير صلب . وعن الاحنف ابن قيس قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه كثيرا ما يقول قريش رؤس الناس لا يدخلون بابا الا فتح الله عليهم منه خيرا . ولا ينكر هذا النسب الشريف . لبنى عثمان الا جاهل بالاخبار او بغيض

لهم . وكثيرا ما سمعت شيخنا ادب الزمان الشيخ يس الحمصي رحمه الله يقول كل السلاطين اذا حاربوا اعداءهم يأخذوهم بغتة الا سلاطين آل عثمان . اذا اراد احدهم يحارب عدوا برسل يقول له جهز روحك ولو بعد ثلاث سنين (وحيث انجر بنا الكلام) الى ان اصل قتال مولانا السلطان سليم للعجم لبغضهم لسيدنا ابي بكر الصديق ولا ابنته عائشة رضي الله عنهما (فانذكر نسبة السادات البكرية المصرية) للصديق ليعلم الواقف عليها نسبة محبتهم لا آل عثمان . ولا يستغرب الاواخر الا من يعرف الاوايل . ولكل شيء من المحبة والعداوة دلايل . فنقول . الاستاذ . شيخنا زين العابدين بن استاذنا محمد بن زين العابدين بن محمد القطب تاج العارفين بن ابى الحسن بن جلال الدين . ابن عبد الرحمن . بن احمد . بن محمد . بن احمد . بن محمد بن عوض . بن عبد الخالق . بن عبد المنعم . بن محمد . بن الحسن . بن محمد . بن يحيي . بن يعقوب . بن نجم . بن عيسى . بن شعبان . بن عيسي . بن داود . بن محمد . بن محمد . بن نوح . بن طلحة . بن عبد الله . ابن عبد الرحمن . بن ابى بكر الصديق رضى الله عنه (ولنرجع الي ما كنا بصدده)

ولما فتح الله تعالي على السلطان سليم بلاد العجم انقلب راجعا الي قتال علاء الدولة واما علاء الدولة فأنه جمع جيوشاً اكثر من جيوش سليم خان والتقي الجمعان فلم يكن لسليم قدرة على عسكر علاء الدولة لكثرتهم ولكن اذا حصلت النصرة بالعناية الالهية عانت على ذلك .وكان مع السلطان سليم ابن سوارشاه وكان هو الملك والحاكم على تلك البلاد وهواخوعلاء الدولة

فلما عمل سوارشاه الحيلة التى عملت عليه وشنق بباب زويلة فى زمن قايتباي على يد الامير يشبك الدويدار القديم . ثم اخذ علاء الدولة الحكم بعد وكان لسوار شاه ولد كبير اكبر اولاده فهرب للسلطان سليم فلا زال عنده حتى وقع هذا الحرب مع علاء الدولة واصطفت الفريقان للقتال فخرج ابن سوار شاه الى الميدان بين الجمعين باذن من سليم وقال من عرفني فقد كفني ومن لم يعرفني انا بن سوارشاه اين من هو في انعام ابي اين المحبون لى ولو الدى فليأتوا تحت صنجقي ويكونوا تحت حمايتى من عدوه ولا بد ان يكون لكل انسان من يحبه ومن يبغضه فاتى له من يحبه ومن يبغض علاي الدولة فما تم غير ساعة حتي قتل علاى الدولة وغالب اولاده قطعت رؤسهم وجيء بهم الى السلطان سليم فارسل بهم الى الغورى فلما رأهم حس قلبه بزوال ملكه لما يعلم من اختلاف عسكره عليه كما وقع لعلاى الدولة ثم ان سليم تطمعت اماله باخذ مصر واستشار الوزير الاعظم وهو ابن هرسك وبعده بيرى باشا فقال ابن هرسك للسلطان سليم نحن تصادمنا مع عسكر مصر في زمن ابيك فكنت انا باش العسكر فكسرونا اشد كسرة وقبضوا علي ودخلت مصر اسير حتى وقفت بين يدي السلطان قايتباى فمن على باطلاقي وعفي عني عفى الله عنه وحلفت ان لا اسحب فى احد سيفا ابدا وصادقه على ذلك بيري باشا . فبعد ذلك بثلاثة ايام عزل السلطان سليم الاثنين ثم صار قاصدا عسكر مصر فلما وصل الي مدينة رماحوا قام ينتظر الاخبار فلم يأت احد فامر بارسال قاضي الي الغوري وكان اعرج فوصل الى حلب فرأى وطاق الغورى خالياً من العسكر ما فيه الا الفتنس لانهم كلهم دخلوا حلب واخرجوا

الناس من بيوتهم وفسقوا فى حريمهم واولادهم وآذوهم الايذا البليغ وكان ذلك سبباً لقيام اهل حلب مع السلطان سليم على الجراكسة فلما بلغ الغوري انه قد جاءه قاصد من السلطان سليم فاذن له فمثل بين يديه وتأدب غاية الادب فترحب به الغوري وسأله عن السلطان سليم فقال القاضي هو ولدك وتحت نظرك فقال له الغورى لولا انه مثل ولدى ما جئت من مصر الى هنا وجئت باهل العلم جميعاً حتى نصالح بينه وبين اسماعيل شاه ثم اجزل عطاءه وانصرف ثم أمر الغورى بالخروج الى الحرب فخرج جميع العسكر واودعوا جميع اموالهم عند حلب بعدماآذوهم الايذاء البليغ فلما خرجوا من عندهم دعا عليهم كبيرهم وصغيرهم فلما استقر الغورى أمر بارسال قاصد لسليم وشاور اكابر دولته فاقتضي رأيهم ان يرسل من اهل الدين والعلم من يتكلم بالمعروف ويحقن دما المسلمين فلم يفعل وامر باحضار الامير مقاباى وداود ارسكين وكان رجلا فاضلا يقدر على رد الاجوبة فى اقامة الحجة فقال له الغوري جهز نفسك واخرج اكشف لنا خبر الروم وماهم عليه واعط هذه المكاتبة الى ملكهم ثم أمر بعشرة من خيار العسكر بالتوجه مع مقلباي الى عسكر سليم وهم لابسون الحلل الفاخرة وكل من رآهم يتعجب من خلقتهم وحسن ملبسهم وهندامهم وهم كالعرايس صف واحد فلما مثلوا بين يدي السلطان سليم نظر اليهم مليا وامتلأ من الغيظ ثم قال للامير مقلباى يامقلباي استاذك ما كان عنده من أهل العلم احد يرسله وانما ارسلك بهذه العشرة ليرعب بها قلوب عسكرى ويخوفهم برؤية اجناده ولكن انا اكيد بمكيدة اكبر من مكيدته ثم أمر برمى رقاب جماعة مقاباي وغيظ من صميم

قلبه فارتجت قلوب الحاضرين لذلك فقام الوزير يوسف باشا وقبل الارض بين يديه وقال الرسول لا يقتل وليس له ذنب فقال لا بد من ذلك فقال الوزير ان كان ولا بد فابق على كبيرهم مقلباى فامر بحبسه وقتل العشرة وحبسه بالقلعة يومين واخرجه وحلق ذقنه والبسه طرطور وركبه حمارا اعرج معقورا وقال له قل لاستاذك يجهد جهده ولم يقراء سليم مكاتبة الغورى فلما رجع مقلباي للغوري على هذه الصفة عسر ذلك عليهم وقامت نفوسهم على قتال السلطان سليم بعد ما كانوا يظنون انما جاؤا لاجل الصلح بين اسماعيل شاه وسليم ثم ان الغوري امر كرتباى الوالي بان يكشف خبر سليم وعسكره ويرجع على الغورى فلما وصل كرتباى الي قيسارية وجد اهلها قد قفلوا ابوابها وتهيأوا للحرب لقتال عسكر مصر لما بلغهم ما فعلوا في حلب ثم وجد يونس نايب عنتاب عزل حريمه وامواله وهو معول على الرحيل الى السلطان سليم فرجع كرتباي الوالى واخبر بان قيسارية وعنتاب عصوا ومالوا مع سليم وبلغنا الخبر ان طلايع عسكره اقبلت فلما تحققنا ذلك عطفنا راجعين فانزعج عسكر مصر لذلك ووقع بينهم الخلل فعند ذلك انتبه الغورى من ساعته والامرا والاعيان وتحالفوا ان لا احد يخون صاحبه ويكونوا على قلب رجل واحد ويقاتلوا عدوهم بعد ما كان غالب ظن العسكر الا الصلح بين اسماعيل شاه والسلطان سليم واما يونس نايب عنتاب ندم علي ما فعله مع كرتباى الوالى وقال في نفسه ربما تكون النصرة لهم فلا آمن على نفسي ولكن اجعل لي معهم وجها وركب من ساعته الي ن تمثل بين يدى الغوري وزعم على ان السلطان سليم قبض عليه وانه

هرب وجاء الى مولانا السلطان مساعدا له علي عدوه فلم تنطل حيلته على الغورى ثم امر بتوسيطه في الوقت فوسط والامراء والاعيان مجتمعون فقام من بينهم الامير سيباى نائب الشام وقبض على خير بك نائب حلب وجره من طوقه بين يدى السلطان الغوري وقال له يامولانا السلطان اذا اردت ان الله ينصرك على عدوك فاقتل هذا الخائن المخامر وكان خير بك بين يديه كانه بين يدى السبع فقام الامير جان بردى الغزالى وقال يامولانا السلطان لا تفتتن العسكر وتبدوا في قتال بعضكم بعضا وتذهب اخباركم الى عدوكم فيزدادون طمعا فيكم وتضعف شوكتكم والرأى لكم وتأخر من مكانه وكانت هذه مكيدة من الغزالى والا كان خير بك قد هلك فامرهم السلطان ان يتحالفوا ثانيا وان لا يخون منهم احد والخاين يخونه ثم أمر السلطان ان ينادى فى حلب بالرحيل منها الى قتال ابن عثمان وان يتأهب كل واحد وكان ذلك في يوم الجمعة فى شهر رجب سنة اثنين وعشرين وتسعماية قال الراوي وكان له موكب رجت الارض منة وكان الجلبان ثلاثة عشر الف مملوك كلهم مشتروات الملك الغورى ولا واحد منهم الا ويعرف سائر انواع الحرب والفروسيه وكان مراد الغورى يجعل عسكره مماليكه ويقطع دابر القرانصة وكان معهم أئمة الاربعة مذاهب وخليفة سيدي عبد القادر وسيدى ابراهيم الدسوقى وخليفة سيدى احمد البدوى وخليفة سيدى احمد الرفاعى وكان معه المؤاذنون والوعاظ والدواخل وكان له نظام عظيم فانحزم ذلك النظام ولما التقى الجمعان كان في اول الجيش امير كبير وهو سودون العجمي . واركماس امير سلاح ونجتباى امير مجلس وكان امير باخور كبير سيدى محمد بن السلطان الغورى اقام فى حلب

بامر والده وكذلك دويدار جانم الاشرفى والذي في مقدمة العسكر سودون الدويداري رأس نوبة النواب وسرباي حاجب الحجاب وقانصوه بن السلطان جركس وكان من الابطال وسنمر الزردكاش وجان بلاط ابو ترسين وتان بك الخازن دار وازبك المكحل وسيرس ابن عم السلطان ثم باتو تلك الليله على غير حرب ولكن لم يهن لاحد منهم نوم خوفا من مكر بعضهم لبعض وكان ابتداء الحرب في يوم الاحد ثالث عشرين رجب سنة واحد وعشرين وكان أول من بادر للقتال والحرب من الجراكسة اصلان نايب حمص اخذ قنطاريته بيده واطلق عنان جواده وكان يطعن في الفرسان يميناً وشمالا حتى مدد القتلى على الرمال . واجرى الدما على تلك الاراضي وسال فلما رأت الامراء ما فعل اصلان اخذتهم الحمية فحمل الامير سيباى نايب الشام ثم حمل امير كبير سودون العجم ومماليكه خلفه نحو الفين ملبس ثم حمل الامير جان بلاط ابو ترسين ثم امير علان دويدار ثانى ثم حمل قانصوه ابن السلطان جركس حملة ترعد الاجناد منها وضرب ضربات تقصر الهمات عنها ثم حمل كرتباى الوالى وكان فارس الخيل نادى الموت الدوام لله فلله دره من شجاع يلقى المنايا والملمات التى حملها لا يستطاع ثم حمل تنم الزردكاش ونجتباي أمير مجلس والامير انسباى حاجب الحجاب والامير قانصوه كرت والامير تاينبك الخزندار تاينبك العجم والامير يبيرس ابن عم السلطان الغوري والامير قانصوه الفاخر الابوسنة والامير خير بك المعمار والامير حان برجى وقنبردى الغزالي وخير بك نايب حلب وكل منهما كان رأس المبغضين للغورى والامير نايب غزا ونايب طرابلس وصادموا الروم واى صدمة ومالوا عليهم فى القتال ولاقوهم الروم بحملات

كالاسود فى النزال وبورت الانكشارية بقلوب لا يخطر لها الموت على بال ولو لا الرماة من الانكشارية ما ثبت من خيالة الروم احد لانهم ليس لهم معرفة بالفروسية كالجراكسة الاقريب من قريب فيالها من وقعة اخربت الديار ورملت النسوان ويتمت الاطفال . قال الشيخ احمد بن زنبك المحلى . ولم نرا فى التواريخ القديمة والجديدة مثل هذه الواقعة اجتمع فيها مثل هذين العسكرين ولم يقاتل فى هذا اليوم من الجراكسة اكثر من الفي فارس وهم الامراء الذين قدمنا ذكرهم واتباعهم واما جلبانهم وهم جلبان السلطان الذين هم مشترواته لم يتحركوا من مواضعهم ولا هزوا رمحا ولا جذبوا سيفا وسبب ذلك ان الله تعالى اذا اراد زوال دولة اوقع فيهم الخلف وعلى ما قيل ان السلطان الغورى أمر ان اول من يخرج للحرب القرانصة ليكتفى شرهم لانه كان يحسب حسابهم خوفا من مكرهم وصدموا الروم بصدمات وعزمات فلم تثبت الروم من بين ايديهم الا ساعة من زمان ومن اعجب ما يكون ان هذين الالفين فارساً المتقدم ذكرهم من الجراكسة يقاتلون قتال الموت في نحو المماية الف وخمسين الفا من الروم والترك ما بين الوف مشاة ومثلهم ابطال خيالة من عسكر الروم ثم حطموا عليهم حطمة واحدة ازالوهم عن مكانهم وعملوا فى ظهورهم كما تعمل النار في الحطب فلما انكسر السلطان سليم وولى عسكره هاربين ودخل عسكر الجراكسة الى وطاقه فنهبوا وغنموا واخذوا الزردخانة جميعها وجأوا بها الي الغوري فامر بتسليمها لتنم الزردكاش . فبادر الذين كانوا تأخروا عن القتال حتي كادوا ان يفتتنوا ونهبوا وغنموا فقال الامراء الذين كانوا يقاتلون نحن نقاتل

واتتم تنهبون حتى كادوا أن يفتتنوا واطلقوا في وطاق السلطان سليم النار . وقالوا مالنا ولكم في ذلك حاجة الا وعسكر الروم ردّ عليهم كالبحر اذا سار بعرض الوادي وسبب ردهم الى الحرب ان الانكشارية قالوا نحن مشاة فان هربنا لحقتنا الخيل اهلكتنا والاولي اننا نرجع اما بنا واما بهم وتصالحوا مع بعضهم بالرجوع وترك الهرب فسمع السلطان سليم اصواتهم فوقف ينتظر ما يكون واذا بالانكشارية احاطوا به ومسكوا بعنان جواده وقالوا له اين تذهب حيث تسلمنا للموت وتنجوا انت بنفسك قف واثبت . اما نغلب او نغلب فرجعوا . بجملتهم رجعة ارتجت لها الارض . ومن الاتفاق العجيب . ان في رجوع السلطان سليم بالانكشارية في خروج الجراكسة من وطاقه بعد ما حرقوه ونهبوه . فصارت ظهورهم من وجوه الروم وعلا عليهم صراخهم ورموا بالنار رمياً مترادفا فسمع المنهزمون من عسكر الروم فعلموا ان اصحابهم قد رجعوا فتراجع الجميع . وكانت الكسرة على الجراكسة فرجع خير بك والغزالي مع من انهزم من الجراكسة حتى دخل وطاق الغوری ونادي باعلا صوته القرار القرار فان السلطان الغوري قد قتل . وكانت الكسرة علينا فصدقوه وظنوا ان ذلك حق وانما هو مكيدة وبغض للغوری . وانثني طالب حلب فتبعه غالب الجلبان . وشتت غالب العسكر كما قال خير بك وانهزموا قهراً . والسلطان الغوری واقف مكانه وحوله بعض الجلبان القريبين منه . واما البعاد عنه فظنوا انه قتل فانهزموا مع خير بك قاصدين حلب . فاما علم الغوری بما جري لعسكره من التشتيت فصار ينادی عليهم باعلا

صوته يا اغاوات الشجاعة صبر ساعة فلم يلتفت اليه احد منهم . وكان امر الله قدرا مقدوراً فكل ذلك بغض منهم لسلطانهم فانه كان مراده يقطع القرانصة شيئاً فشيئاً ثم يستقل بجلبانه ويصفوا له الوقت . وقالت اهل المعرفة من طالبه كله . فاته كله . ولا تعاند تغلب لوانك السلطان . فقدم الامير سودون العجمي امير كبير . وقال يامولانا السطان اين جلبانك من خاصتك هكذا فعلت بنا ولا زلت قائما في حظ نفسك حتى اهلكت نفسك . واهلكتنا معك ولكن القيامة تجمع بيننا وبينك وسنقف بين يدي الله تعالى ويحكم بيننا بالعدل ولا حولا ولا قوة الا بالله العلى العظيم . ثم التفت عن يمينه وجد الامير سيباي والامير اقباي الطويل والامير علان . والامير اصلان وشبههم من القرانصة واقفين متحيرين فان جيشهم انكسر قهرا من غير كسر . فقال لهم سودون العجمي ما فى يدى منكم قالوا كل خير . قال الحلة . ولكن اين يذهبون . وما عسي ان تقاتل ماية نفس فى ماية الف وثمانين الف . ولكن قلتهم اوقفوا هذا الجيش العظيم . وما قدر احدٌ منهم يتقدم ثم عيت هذه الطائفة القليلة من الضرب والقتال ولكن الكثرة غلبت الشجاعة . وما زال الغوري واقفا حتى بقى وحده وخلفه عامل الصنجق امير اللوا وكان رجلا كبير السن من مماليك اينال الاجرود فمن شدة ما حصل للغوري من القهر فانه انكسر من غير كسر فلما رأى هذه الاحوال وقع على الارض مغشيا عليه فقال الامير علان لاقبال الطويل ما تري في امر السلطان فقال له قل ما عندك . فقال له ان نحن تركناه ورحلنا وخليناه فيأتى العدو يقتله وياخذ راسه يطوفون به جميع بلاد

الروم . قال فما الرأى . قال الرأي اننا نقطع راسه ونرميها في هذا
الجب والجثة بلا رأس لا يعرفها احد . قال نعم الراى فامر الامير علان
عبداً من عبيده فقطع راس الغوري ورمي بها . في جب هناك ثم ولى
الامير علان الي ناحية حلب واما اقباي الطويل . طلب ناحية العجم
واقام بها الى ان مات واما الامرا الذين التهوا بالقتال مع الروم فانهم
فاض عليهم بحر المنايا وزاد وابتلوا بعساكر ملأت الوادي واتسع عليهم
ذلك الجمع الكثير وخاضت خيولهم فى بطون القتلا فقاتلوا قتال من انقطع
من الدنيا اياسه فقصدوهم الرماة بالبندق ولو لا البندق ما قدروا عليهم
فوقع الامير سيباى والامير سودون امير العجم . واما الامير قانصوه
ابن عم السلطان جركس فانه لا زال يضرب حتى خرق عسكر الروم
وطلع من ذلك الجانب على حمية . فلما خلص شم الهوى وردت اليه روحه
بعد ان كان يئس من الحياة وحسبك برجل خرج من بين هذا العسكر
. لكن اذا جاء امر الله لا مرد له فوقع فى نهر هناك ينبت فيه العرق
السوس فالتفت على قوايم الفرس فغرق . وكان عسكر الروم ينظر
اليه على بعد . ولم يقدر احد يتبعه فلما راوه في هذه الحالة طمعوا فيه
واحاطو به فمزّوه وقطعوه بسيوفهم واما باقى الامرا فان غالبهم قتل .
فانهزمت تلك الجيوش وتمكن عسكر السلطان سليم من وطاق
الغوري واخذ كلما فيه وكان شيئاً فوق الوصف من الذهب والفضة
قناطير مقنطرة . ومن اليرق واللبوس والتحف التي جمعتها الملوك
السالفة ذهبت كلها في يوم واحد خلاف ما اودعته امراءُ الجراكسة فى
قلعة حلب شي لا يحصر فان السلطان الغورى لما خرج لملاقاة العثمانية

أخذ معه مائة قنطار ذهب دنانير ومايتي قنطار فضة انصاف وكان قصده ان يجعل ذلك نفقة للعساكر . وسبب ذلك انه قد كان ارسل السلطان سليم للغوري كتاب على سبيل النصيحة وغالبه تهديد كالسم في الدسم وفي جملة ذلك لئن لم تنتبه وترجع عما انت فيه من الظلم والعسف والعنف على المسلمين . والا جئتك بعسكر من بلاد الروم واخرب قصرك عليك . فكان هذا الكلام من جملة السبب المحرك للغوري على خروجه بنفسه وارسل في الجواب انا لا احوجك الى المجيء الينا ولكن تأهب للقاء الابطال وتنظر الرجال كيف تفعل نعم صدق الغوري في قوله لكن افحم في قلوب عسكره واهلك غالب الامرا القرانصة فكرهته العساكر كلها وخرجوا معه وكل يتمني انه لا يرجع الي مصر وكان هذا من سؤ تدبيره وكل ذلك حتي يجري القضاء والقدر . قال الراوي وكان الغوري لما بات في مرج دابق ثم اصبح وامر ان يعد القتلا من الفريقين فوجدوا قتل من الجراكسة خمسماية نفس واكثرهم بالبندق ومن عسكر الروم خمسة آلاف ثم وجدوا في القتلي رجلا عظيما من الجراكسة وعليه من الملبوس الفاخر وما يناسب الملوك وعليه من الهيبة والوقار ووجهه يتلألا نورا وقد جاته زربطانه اخذت فخذه فجيء ببعض من يعرف الجراكسة فوجدوه سودون العجمي امير كبير فامر السلطان سليم بتغسيله وصلى عليه بنفسه وامر بدفنه وكان ترابه في زاوية هناك تسمي زاوية الشيخ ابو النور البكري . واما ما كان من عسكر الجراكسة فانهم لما وقعت عليهم الكسرة نهب بعضهم بعضا وصار كل انسان يأخذ ما قدر عليه . وكل من كان له عدو قدر على قتله قتله شعر

ولكل شيء افة من جنسه حتى الحديد سطى عليه المبرد

انظر الي قول الله تعالى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واذا اراد الله بقوم سوءً فلا مراد له . ثم ذهب غالب العسكر الي حلب فمنعهم اهل حلب من الدخول اليها لشدة ما قاسوا من مجيئهم الى حلب فتشتت شملهم وذهب جمعهم وانكسرت شوكتهم بعد تلك القوة والنفخة العظيمة والباس الشديد (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) وكان سبب سعادة اهل حلب هذه الواقعة فانهم اودعوا عندهم الجراكسة جميع اموالهم وخرجوا على جرائد الخيل فطمعت فيهم اهل حلب وصدوهم عن دخول حلب . واما خير بك فانه دخل حلب اخبره سيدى محمد ابن الفورى بها وكان ابقاه ابوه على خزائنه وامواله بقلعة حلب فاخبروه بان بن سوار شاه نازل على علان بعشرين الف فارس وهو قاصد اخذ حلب . فقال له سيدى محمد بن الغورى فما الرأي يامير خير بك قال الرأى ان ننادي في العسكر بالرحيل الى مصر ويجتمع عليك ما تشتت من العسكر وتكون سلطانهم مكان ابيك . وانا مساعد لكم فى ذلك فصدقه فى مقالته ونادى فى حلب بالرحيل الى مصر ومن له رغبة فى المسيرالى مصر فيتبع بن السلطان فخرجت الناس علي وجوههم وتركوا اثقالهم واموالهم واختاروا سلامة الروح وخرجوا حكم الهاربين . وكان ذلك مكيدة من خير بك حتى يأخذها السلطان سليم من غير حرب وكان كذلك فانه أرسل للسلطان سليم يخبره بما فعل وانك تسير في هذا الوقت الى حلب فانها خالية من العسكر المصري . واما عسكر حلب فمن اطاعنا ابقيناه بجاه السلطان

سليم ودخل حلب من غير حرب واطاعته الرعية والعساكر فملكها واخذ
الاموال التى وجدها وتلاشي بن الغورى وما دخل مصر الا في اسوء
حال ولما خرج ابن الغورى من حلب قصد دمشق الشام فخرجت
عليهم العربان ونهبوا من اثقالهم ما قدروا عليه • ولولا ان الامير ابرك
رأس الجلبان والغزالي والا كانوا نهبوا العسكر فان العسكر ماتت قلوبهم
والقى الله في قلوبهم الرعب فما دخلوا دمشق الا فى اسوء الاحوال فضاقت
بهم دمشق وغلت عليهم الاسعار • فاقاموا بها ثمانية عشر يوما فاراد
الامير قنبردى الغزالى ان يتسلطن فقال له الامير ابرك اولى منا ان لا تكون
السلطنة الا لابن السلطان فاجابه الجلبان جميعاً جملة واحدة وبعض من
القرانصة فلما سمع الغزالي ذلك ايس من السلطنة فشرع فى تمكيسهم
فقال الامير علان تخت السلطنة مصر او الشام قالوا مصر قال فاذهبوا
الى مصر واجمعوا من بها من الامراء واتفقوا على من تشأ وسلطنوه
فان السلطنة لاتصح الا لاشيخنا واعقلنا وخصوصا نحن فى اضيق الاحوال
وعدونا فى طلبنا وكيف نسلطن علينا ولدا صغيرا وان كان هو بن السلطان
ليس فيه كفاية للسلطنة على هذا الوجه فاستصوبوا رأيه وما قصده الا
ان تكون السلطنة له فانه كان من الفرسان المشهورين وكل انسان
لا يريد الحظ الا لنفسه فاقتضى رأيهم التوجه الى مصر وبن الغوري
معهم كاحاد الناس لا يلتفتون اليه واما القرانصة الرؤس كل منهم يتمني
انه السلطان ولكن ما يكون الا ما يريد مولانا سبحانه وتعالى فلما خرج
العسكر من الشام قاصدين لمصر قالوا للغزالي من يحفظ الشام قال الامير
نصر الدين بن حسن فارسل خلفه فلما حضر خلع عليه خلعة تليق

بمقامه فانه كان من اعيان شيوخ العربان بتلك الديار وقال له البلاد بلادك تسلم حفظها حتى ننظر الامر كيف يكون ثم ذهب الامير الغزالي مع العسكر الي مصر وهو كامن لهم الغدر الذى لم يسلطنوه اضمر على منا كستهم ومال بقلبه الى رأى خيربك في تحريض السلطان سليم على اخذ مصر فانه كان قصده الرجوع في حلب وما طمعه في اخذ مصر الاخير بك والغزالي فلا زالوا سائرين الي ان دخلوا مصر بلادهم في أسوء الاحوال فنزل الغزالي وبن الغورى في بيت ابيه الذى بناه له في البندقانيين وهو الذي هدمه الحمزاوى وصار اخانا للتجار وبقية البيت باقية الي الان وهو القاعة العظيمة وما حولها من باب ناحية الغورية فسبحان من يغير ولا يتغير وكان الامير اسباى حاجب الحجاب فى راس حدرة النفر عن يمينك وانت متوجه الى الصليبة وتنم الزردكاش في البيت الذي بازائه وبيت الامير ثانى بك النجى في حدرة الصليبة عن يسارك وانت قاصد الكبش وبيت ازبك المكحل في رأس المدابغ الذى على يسارك وانت قاصد باب زويله وبيت نجباوى تجاهه وبيت ابرك رأس الجلبان في الصليبة وبيت طومان باى دويدار على بركة الفيل وبيت الامير علان على بركة النصرية وبيت الامير قانصوه كرت بالقرب من قناطر السباع وبيت بن السلطان جركس بقرب سيدي عماد الدين وبيت طقطباى نايب القلعة بقرب حمام يشبك التى في رأس سويقة العزى وبيت اوكماش امير مجلس فى بيت يزبك وثانى بيت الخزندار فى بيت قاضى العسكر وسودون الدويدار في بيت جان بلاط من الخرنفش وبيت قانصوه ابو سنة فى رأس سويقة العزى من طامن

ظاهر الدرب وبيت خوش جالدي بجوار سويقة البقلي واقباى الطويل في بيت ترابية وبيت الامير قانصوه داخل الرميلة وبيت جان بلاط ابو ترسين فى سويقــة صفية وبيت كرتباى الوالى فى رأس سويقة العزي وبازائه بيت قضابردى وكانت مصر بهؤلاء الامرا كالعروس المجلية وكل امـير من هؤلاء كالملك المنفرد بنفســه وكل من كان فى حارته عائش في رزقه فسبحان من لا يحول ولا يزول فرحم الله تلك الارواح (ونرجع من اجتماع العسكر بالمسكر المقيم وحكاية ما وقع له وكيف كسروا وقهروا) باختلافهم فى بعضهم وملاختهم على سلطانهم تسببوا فى هلاك سلطانهم وهلاك انفسهم . ثم اجتمع الامرا والاعيان في ثانى يوم في قلعة الجبل فاقتضى رأي الجميع سلطنة طومان باى وبايعوه على السلطنــة في اخر يوم من رمضان سنة ثلاثة وعشرين وتسعماية وكانت سلطنة الغورى سنة ستة وتسعماية وكان رحمه الله غليظ الجثة كبير البطن متوسط الطول كبير اللحية والوجه وله من الاولاد ثلاثة اولاد ولم يعش منهم سوى سيدي محمـد وعاش الغوري ستة وسبعين سنة وقيل ستة وثمانين فلما بايعوا طومان باى اراد ان يقبض على سيدى محمد ابن الغورى ويأخذ ما معه من المال فقال الامير ابرك رأس الجلبان وقام من معه من بقي من الجلبان لا سبيـل الى اذى ابن السلطان استاذنا بوجه من الوجوه حتي تذهب أرواحنـا يهلك استاذنا بينكم وتريدون هلاك ولده الاخير فلا كان ذلك ابدا الا ان هلكتنـا اجمعين فقالت القرانصة وكان المتكلم فيهم الامير علان والامير كرتباى الوالي فانهم كانوا غرض طومان باي لما يعلموا من دينه وعفته وصلاحيته وشجاعتـه وفروسيته وليس الخبر

كالعيان فقالوا للجلبان مهما حصل لابن استاذكم شي ففي عرضنا وفي ذمتنا
وانتم تعلمون ان السلطان طومان باي رجل صوفي وليس معه من يقوم
بنظام السلطنة وقصدنا نأخذ من ابن استاذكم قدر خمسين او ستين الف
دينار ذهبا ندفعها لطومان باي يستعين بها على لقاء العدو واما ابن استاذكم
فهو ولد صغير وليس فيه كفاءة لذلك فاستحسن ذلك الجلبان وخلوا ما كانوا
عزموا من القيام على طومان باي . هذا ما كان من أمر طومان باى .
واما ما كان من أمر السطان سليم اقام بحلب نحو العشرين يوماً وكان
مع الغورى خلفاء المشايخ مثل سيدى احمد البدوى وسيدي ابراهيم
الدسوقى وسيدى عبد القادر وسيدى احمد الرفاعى . فلما وقعت الكسرة
على الغورى بقيت المشايخ المذكورون بحلب فلما سمعوا ان السلطان سليم
قادم على حلب خافوا من سطوته فتوجهوا نحو الشأم فلما رأهم على بعد
ومعهم الاعلام والرايات قال ما هؤلاء قال هم خلفاء المشايخ كانوا
مع الغوري فلما كسر يريدون الذهاب الى مصر فامر باحضارهم
فلما مثلوا بين يديه امر بضرب رقابهم اجمعين . وكانوا يزيدون على
الف وختم الله لهم بالشهادة . هكذا ذكره بن زنبل لغرضه وقد رأيت
لبعض المؤرخين انه لم يقتلهم وهو الصحيح . ثم توجه الى الشام والمشير
له بذلك خير بك فلما قدم علي الشام امر باحضار على باي نائب القلعة
فشنقه وشنق جماعته وكان السلطان سليم له اقدام لا يكترث فى قتل احد
وان ربك يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون وكان الامير خير
بك والامير ناصر الدين ابن حسن شيخ بلاد الدوارم المساعدين للسلطان
سليم على مراده ليصير لهم عنده يد وتصير لهم مرتبة على سائر اهل البلاد

ومن كان لهم عنده غرض شفقوا عليه فملك السلطان سليم حلب والشام وسائر الحصون والقلاع من غير حرب . ثم قوي غرضه على المجيء الى مصر فانه كان قصد الرجوع الى بلاده بعد اخذ حلب كما فعل تيمور فقد خزاه الله فاغراه خير بك والغزالي وناصر الدين بن حسن وضمن له خير بك اخذ مصر وذلك من مكره فانه يعلم انه ان رجع السلطان سليم الي بلاد الروم فلم تبق الجراكسة خير بك ولو ذهب في تخوم الارض وقال له سليم تدلني على أخذ مصر وجميع العسكر اجتمعوا اليها وقد اخذوا أهبتهم وسلطنوا عليهم طومان باى وهو مشهور عندهم بالشجاعة والفروسية ولا بد لهم من أمر يريدوه ونخشى التجوين في بلادهم وبعد المسافة بيننا وبين بلادنا . فقال له خير بك ان العساكر الذين رجعوا من الكسرة قد انقطعت قلوبهم . وهم في اختلاف واختلال فحيث كان كذلك لا تخشى من شيء وانت منصور بنصر الله لك وقرأ قوله تعالى (ان ينصركم الله فلا غالب لكم) فطابت نفس سليم الى اخذ ملك مصر ولو فني نصف عسكره ثم امر بكتابة مرسوم الي السلطان طومان باي ملخصه يأتي . لا اريد الا ان تكون الخطبة والسكة باسمي وانت نايب عني وابقيك على ما انت عليه . فلما وصل المرسوم الي طومان باى قراه وفهم معناه وطابت نفسه على ذلك لكون ان فيه حقن دماء المسلمين فقدر الله ان الامير علان طالع الي الديوان وقد اشيع الخبر ان السلطان سليم يطلب الخطبة والسكة باسمه فلما رآهم الامير علان ما تمالك نفسه الا ان جذب سيفه ورمى الاولاقية وكانوا ثلاثة انفار وطلع الى السلطان طومان باى وهو ملآن من الغيظ وقال له اصحيح ما قيل قال نعم قال فما الذي

كالعيان فقالوا للجلبان مهما حصل لابن استاذكم شي فنى عرضنا وفي ذمتنا وانتم تعلمون ان السلطان طومان باي رجل صوفي وليس معه من يقوم بنظام السلطنة وقصدنا نأخذ من ابن استاذكم قدر خمسين او ستين الف دينار ذهبا ندفعها لطومان باي يستعين بها على لقاء العدو واما ابن استاذكم فهو ولد صغير وليس فيه كفاءة لذلك فاستحسن ذلك الجلبان وخلوا ما كانوا عزموا من القيام على طومان باي . هذا ما كان من أمر طومان باى .
واما ما كان من أمر السطان سليم اقام بحلب نحو العشرين يوماً وكان مع الغورى خلفاء المشايخ مثل سيدى احمد البدوى وسيدي ابراهيم الدسوقى وسيدى عبدالقادر وسيدى احمد الرفاعى . فلما وقعت الكسرة على الغورى بقيت المشايخ المذكورون بحلب فلما سمعوا ان السلطان سليم قادمٌ على حلب خافوا من سطوته فتوجهوا نحو الشأم فلما رآهم على بعد ومعهم الاعلام والرايات قال ما هؤلاء قال هم خلفاء المشايخ كانوا مع الغوري فلما كسر يريدون الذهاب الى مصر فامر باحضارهم فلما مثلوا بين يديه امر بضرب رقابهم اجمعين . وكانوا يزيدون على الف وختم الله لهم بالشهادة . هكذا ذكره بن زنبل لغرضه وقد رأيت لبعض المؤرخين انه لم يقتلهم وهو الصحيح . ثم توجه الى الشام والمشير له بذلك خير بك فلما قدم علي الشام امر باحضار على باي نائب القلعة فشنقه وشنق جماعته وكان السلطان سليم له اقدام لا يكترث فى قتل احد وان ربك يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون وكان الامير خير بك والامير ناصر الدين ابن حسن شيخ بلاد الدوارم المساعدين للسلطان سليم على مراده ليصير لهم عنده يد وتصير لهم مرتبة على سائر اهل البلاد

ومن كان لهم عنده غرض شفقوا عليه فملك السلطان سليم حلب والشام وسائر الحصون والقلاع من غير حرب . ثم قوي غرضه على المجيء الى مصر فانه كان قصد الرجوع الى بلاده بعد اخذ حلب كما فعل تيمورلنك خزاه الله فاغراه خير بك والغزالي وناصر الدين بن حسن وضمن له خير بك اخذ مصر وذلك من مكره فانه يعلم انه ان رجع السلطان سليم الي بلاد الروم فلم تبق الجراكسة خير بك ولو ذهب في تخوم الارض وقال له سليم تدلني على أخذ مصر وجميع العسكر اجتمعوا اليها وقد اخذوا أهبتهم وسلطنوا عليهم طومان باى وهو مشهور عندهم بالشجاعة والفروسية ولا بد لهم من أمر يريدوه ونخشى التجوين في بلادهم وبعد المسافة بيننا وبين بلادنا . فقال له خير بك ان العساكر الذين رجعوا من الكسرة قد انقطعت قلوبهم . وهم في اختلاف واختلال فحيث كان كذلك لا تخشى من شيء وانت منصور بنصر الله لك وقرأ قوله تعالى (ان ينصركم الله فلا غالب لكم) فطابت نفس سليم الى اخذ ملك مصر ولو فني نصف عسكره ثم امر بكتابة مرسوم الي السلطان طومان باي ملخصه باتى . لا اريد الا ان تكون الخطبة والسكة باسمي وانت نايب عني وابقيك على ما انت عليه . فلما وصل المرسوم الي طومان باى قراه وفهم معناه وطابت نفسه على ذلك لكون ان فيه حقن دماء المسلمين فقدر الله ان الامير علان طالع الي الديوان وقد اشيع الخبر ان السلطان سليم يطلب الخطبة والسكة باسمه فلما رآهم الامير علان ما تمالك نفسه الا ان جذب سيفه ورمى الاولاقية وكانوا ثلاثة انفار وطلع الى السلطان طومان باى وهو ملآن من الغيظ وقال له اصحيح ما قيل قال نعم قال فما الذي

عولت عليه قال له اوافقه على ما اراد واكون سبباً في حقن دماء المسلمين ويبقى كل احد فى وطنه فانى عامت من كلامه اذا لم اجبه والا فهو قايم علينا لا محالة وكلنا نعلم ان عسكرنا كلهم فى اختلاف وايس منهم احد مع احد وما اظن الا ان الله تعالى اراد زوال ملك جركس من هذه الديار فما رأيك . قال ان نقاتل عن بلادنا وحريمنا واولادنا . او نقتل عن آخرنا . قال ولكم صبر على القتال . قال هذا اسهل ما يكون فانى قاتلتهم فى مرج دابق وعرفت قتالهم فانهم ليس عندهم معرفة بالفروسية ولا ركوب الخيل وانما غاية ما عندهم الرماية بالبندق وهم مشاة فنحن اذا ضايقناهم ندك عليهم دكة واحدة نهلكهم تحت ارجل الخيل او لعل الله تعالى يمكنا من سلطانهم نأخذه اسيرا ونجعله مثلة الى يوم القيامة فلما رأى ان الامير علان عازم على الحرب استشار الامرا فمنهم من اجاب الامير الى ذلك واختار الحرب ومنهم من اختار الصلح فقام عليهم الامير علان وكرنباى الوالى وشنعوا عليهم وذموهم فما ساعهم الا انهم توافقوا على الحرب والدفع عن الحريم والاولاد واما السلطان سليم لما وصله الخبر بان الاولاقية قتلوا بمصر فارسل خلف خير بك فلما حضر امره بالجلوس فجلس وكان السلطان يحب خير بك لانه يأتيه على مراده . والسلطان سليم كانت همته عالية ويحب ان يكون راس الملوك . ورأس الملوك من كان خادماً للحرمين الشريفين . فقال السلطان لخير بك ما الرأي عندك فقال تركب الى مصر تأخذها وتقطع هذه الطائفة الجراكسة وانا ضامن لك هذا الامر بعناية الله . فالتفت السلطان الى يونس وقال له ما تقول قال اقول ان السلطان اخذ من الفرات الي الشام ويترك لهم

مصر فاننا ان سرنا اليهم ما نأمن على نفوسنا ان حصل لنا كسرة وعندهم من العربان مالا يحصي والعرب تركن اليهم اكثر منا لانهم معتادون بهم ومنهم من هو مصاهرهم ونندم حيث لا ينفعنا الندم . فتألم السلطان سليم لكلام يونس باشا وغصه في قلبه ولكن ابقاه له حتى قتله وسيأتى ذلك فى موضعه . ثم ان السلطان سليم امر بالرحيل الي مصر بعد ثلاثة ايام . واما طومان باي فانه لما رأى امير الجراكسة معولين على الحرب جميعهم وضربوا الشورة من يكون باشا على العسكر فاتفقوا على قنبردي الغزالي وكان ذلك في اول عسكرهم لكون انه ملاخ عليهم فى الباطن . فكان جملة العسكر الذى خرج معه فى هذه التجريدة عشرة الاف عسكرى . وعشرة مقدمين الوفا . وثلاثون من امرا العشراوات . ومن الامرا مقدمين الالوف العشرة المذكورين جان بردي نائب اسكندريه . وقانصوه ابو سنة . وقانصوه كرت . ونقطباي نائب القلعة . ومن الامرا الاربعينيات برسباى الشمسي . وقرقماس . والامير سيد وجان بردي . وقانيباي نائب الكرك . ومن العشرات خوش جلدي . وقانصوه الغدار . والامير جانم . واخوه جانبك وقرقماش السيفى . ولم يسافر فى هذه السنة الحاج لان السلطان كان مشغولا بالحرب . ثم خرج العسكر في اول شوال سنة ثلاث وعشرين وتسعماية . فلما وصلوا الي خان يونس . واذا بعسكر السلطان سليم قد اشرف . فوقف كل من العسكرين ارسل كل منهم فارساً يكشف الخبر فلما اجتمعا الفارسان سألا بعضهما فكل اجاب عن قومه ثم افترقا رجعا واخبرا بالامر . فلما تحقق كل من الفريقين الخبر تهيأوا للقتال . وترتبوا ترتيب الحرب

والنزال . وركبت الجراكسة فلاقتهم الانكشارية برشت بندق خلت الراقد اكثر من الراكب . فقام الغزالي واخذته الحمية وافحش في القتل فتكاثروا عليه وجذبوه بالكلاليب . واخذوه اسيرا فتعصب له الزعر من الغلمان وخلصوه من قلب العدو بعد ان قتلوا من الانكشارية مقتلة عظيمة . وخلعوه . وكانت الكسرة على الجراكسة . واما باش عسكر الروم فانه كان فرحان باشا . وكان المساعد له الامران البريق على الجراكسة . ولا ضرهم الا البندق فانه يأخذ الرجل على حين غفلة لا يعرف من اين جاءته . قال ابن زنبل فى تاريخه قاتل الله أول من اصطنعها قاتل الله من يرمي بها على من يشهد لله بالواحدانية ولنبيه بالرسالة (واما السلطان سليم) فلا زال سائرا على الراحة حتى دخل قطية فلم يجد بها احداً من العسكر فاقام بها ثلاثة ايام . فورد عليه احمد بن بقو شيخ بنى وايل . وكان اولاده عبد الدايم . وبيبرس . والجدامى وخاطر . وكان خاطر اصغرهم فخلع عليه السلطان وعلى اولاده . وكان صاحب طبل خانة في مصر . واقره على ما هو عليه من بلاده وارزقه . وكذلك مشايخ العرب . ثم ان السلطان سليم أمر باحضار خير بك ووزيره . وقال ما تقولون في حيلة يكون بها تفريق الجراكسة قالوا له . وما هي قال ائتونى بغلان الكاتب . وكان هذا الرجل يكتب بالسبعة اقلام . ويحاكي جميع الخطوط فحضر . فقال له السلطان سليم اريد منك ان تكتب لنا كتاباً تحاكى فيه خطوط مختلفه على لسان امراء مصر . وابن الغورى الى جانبي بانهم معي في الباطن وميلهم لى . ويحرضونى الي المجيء . ويكونوا معى ويساعدونى على قتل طومان باى وعلان

وكرتباى الوالى . فكتب الكاتب كتبا متعددة على لسان الامرا
المذكورين . وربط الكتب واوصلهم الى رجل من جماعة خير بك .
وامره بالذهاب الى وطاق طومان باي . وان يرمي بها لهم بالقرب من
مجلس السلطان . ويقف ينظر ما الخبر وما يقع بينهم من الخلف ثم يرجع
يعلم السلطان سليم ففعل ذلك . فرأي المكاتيب بعض مماليك طومان
باى فاخذهم واوصلهم الى استاذه فاخذهم وقراهم وجميع الامرا
حاضرون واخبرهم بذلك فانكروا كلهم ذلك وحلفوا الايمان المغلظة
ان هذا لم يصدر منهم فتحير طومان باى . وافتتن العسكر . وكاد ان
يقتل بعضهم بعضا . فقال لهم طومان باى ربما يكون هذا مكيدة من
الاعادى اكادونا بها لنفتتنا . ولكن يقابل كلامنا بما يستحقه. ولكن كونوا
أهبتكم للقاء عدوكم . فلما كان يوم الثلاث آخر ذى الحجه الحرام
وجاءت الاخبار الى طومان باى بأن السلطان سليم دخل الخانكاه .
فنادى السلطان طومان باي في عسكره ان كل من جاب راس رومي
له ما يريد من كل شيء فصارت فرسان الجراكسة لشن الغارة على
عسكر سليم . وكل من وجدوه أخذوا رأسه وجابوها الى طومان باى
فيجزل عطاءهم . فساء ذلك الغزالي فلما دخل الليل جلس فى خيمته
وكتب كتاباً وختمه . وذكر فيه جميع مافعله طومان باى. وانه أخرج
المدافع الكبار التى لو رموها على الجبال أزالتها وجمل جميع آلات
الحرب فى الريدانية . وقد اشرت عليهم بدفنها فى الرمل لئلا ينظرها
أحد من الدواسين فيخبركم . وقد قبلوا ذلك بعد جهد عظيم . فانى
خشيت على عسكر السلطان من ذلك البلاء العظيم . والصواب ان

السلطان يدور ويأتى من جانب الجبل فيصير ولو رموا لا يفيد رميهم شيئاً . وأرسل الكتاب لخير بك فأوصله الي السلطان سليم فسر بذلك وأجزل العطا للقاصد . ورد له جواباً رجع في جوف الليل الي الغزالي ففى صبيحة ذلك اليوم أمر السلطان سليم بالرحيل الى السلطان طومان باى . وأما طومان باى فاتفق مع الامير علان . والامير كرتباي الوالي أن يتفرقا عن بعضهم . وان يحمي بعضهم ببعض وعلموا أن الغزالي يلاخى عليهم . وتحققوا ذلك . وقصدوا قتله . ولكن حسبوا أن قتلوه تفتتن العساكر . وتوكلوا على الله تعالي . واتفقوا أنهم يقصدوا صنجق السلطان سليم . ولا يرجعوا الا أن يقتلوه . فلما أصبح الله بالصباح فما طلعت الشمس الا وعسكر السلطان سليم منسكب من ناحية الجبل كالجراد المنتشر من وراء ظهور عسكر السلطان طومان باى فارتجوا لما رأوا ذلك . وايقن طومان باي بان عسكره ملاخي عليه . وان اشارتهم عليه بدفن المدافع مكيدة منهم له . ولم يرله حيلة يحتال بها فى تلك الساعة الا التسليم لله تعالي . فرمي الاخرس مدفعا يسمى المجنون رماه وهرب ففتح فى عسكر السلطان سليم ذقاقا فارتجت به العسكر الرومي . وظنوا ان خير بك والغزالي مكروا بهم فارسل السلطان سليم خلف خير بك فقال له ماهذا الذى ذكرته لي . وقد اخبرتني ان مدافعهم ردموها بالرمل فما هذا الحال ورأى منه عين الغضب . فقال خير بك مهلا علي . وارسل جاسوساً يكشف الامر فغاب ورجع مسرعاً فقال رأيت المدافع كلها مردومة في الرمل وانما هذا رجل اخرس لم يردم مدفعه وقال انا ضامن لذلك

فاطمئن السلطان سليم فانهم لو رموا عشرة مدافع مثل هذا ما بقى من عسكر السلطان احد ولكن اذا نزل القضا عمى البصر واما السلطان طومان باى لم ينظر الى شيء من ذلك . وانما قصد صنجق السلطان سليم هو والامير علان وكرتباي الوالى فلا زالوا فى مشوار وهم يطعنون بالقنطاريات حتى غاصوا فى جموع الروم فلله درهم من فرسان لقوا هذا الجيش العظيم بنفوسهم فلا زالوا يضربون ويطعنون حتى وصلوا الي صنجق السلطان سليم وظن طومان باي ان الذى تحت الصنجق هو سليم فقالوا له ياسليم انت منا غير سالم وجذبه من على سرجه بيده اليسري ورفعه باعلا رأسه وخبطه خبطة طبقت اطلاعه . وضرب الامير علان من كان على يساره ابرا راسه وكذلك الامير كرتباى الوالي قطع رأس ابن سوارشاه . فلما فعلوا ذلك قوي قلبهم واشتفى غلهم وبقيت الروم كانها قطايع غنم بلاراعي فعقبت الفرحة ترحة وظهر بان الذى قتله طومان باى انما هو الوزير الثانى وكان يسمى سنان باشا وسبب ذلك ان السلطان سليم حسب هذا الحساب وغير ملبوسه وتاخر في طرف المعسكر وكان مع السلطان سليم خير بك وفرحات باشا وهم مجهولون في اطراف العسكر ومر عليهم طومان باى وكرتباي الوالى والامير علان ينظرهم وهم ينظرون اليه فلم يقدر احد منهم يتعرض له مع انه لو علم بهم مارجع حتى ياخذ روسهم . ولكن الحي مالو قاتل فرجع طومان باى من حملته هذه واذا بعسكره منكسر والعدو فى اثرهم فكشف عنهم هو والاميران المذكوران ورد الروم عنهم . واذا ببندقية جات فى الامير علان في قصبة رجله كسرتها و دخلت فى جنب الحصان قتلته الا ان

الامير علان حمل نفسه وجيء له بجنيب ركبه وقد أيس من الحياة
فروح والسلطان طومان باي ولوى عنان جواده الي قناطر بني وابل لما
عاين ذلك ايس من الحياة ولم يبق معه احد الا كرتباى فقصدوا نحو القلعة
وطلعوا من خلفها فلا زالو حتى نزلوا بركة الحبش وعادوا الى طرا واما
الامير علان فانه لا زال سائراً حتى وصل الى النيل وقصد المنوفية وذهب
الي فلاحه ابن بغداد الامير حسام الدين . فلما راه احسن ملتقاه وترحب
به وجاء له بجبر وبقى عنده نحو اليومين فراي من عينه الغدر وانه يريد
ان يقبض عليه ويرسله لعدوه فلما تحقق ذلك تأسف على نفسه وامر ان
يشد له الحصان وقصد ان يشم الهوي وظن انهم لم يفطنوا به فركب
جواده وطلب سيفه وترسه وقنطاريته فلم يقدر احد يمنعه والتفت الى
حسام الدين وقال له تخون والله يجازى الخائن . وزي عنان جواده ولم
يمنعه احد وكلما لاقته سرية عرب يقول لهم انا علان فلم يقدر احد يقربه
فلا زال حتى عدى الجيزة وقصد الصعيد الي ان وصل الى بلد يقال لها
النويرة فنزل عن فرسه واستقبل القبلة ومات الى رحمة الله تعالي فصلوا عليه
اهالي تلك البلدة ودفنوه فى زواية هنالك رحمه الله واما السلطان طومان
باي فانه لما رجع الى الحرب فلم يجد احدا من عسكره الا وقد ولى منهزما
من كثرة البندق والزربطانات فلم يستطع احد ان يقف امام ذلك فطلع
من وراء القلعة وقصد طرى والعدوية وتبعه بعض العساكر يقتفوا اثره
سرية سرية الى ان صار معه نحو السبعة الاف فارس عيان منهم الامير
قانصوه كرت وقانصوه رحلة وقانصوه الفاجر واسنباى الحاجب ونخش
باى امير مجلس وشازبك الاحول وقانصوه العادلي كاشف المنوفيه وازبك

المكحل وتان بك النجمي والباقي مماليككم اتباعهم واما الامير جان
بلاط فقد تجون في قلب العدو ولا بقي يقدر على الهروب فلما ايس ممن
معه صار يقاتل من وراء الي قدام ولا زال كذلك حتى وصل قبةالهوا.
فبطل جواده فنزل عنهوتركهوقاتل راجلاً فلما رأته الروم ترجل طمعا فيه
وقالوا هذا رجل ونحن رجال فانطبقوا عليه كالجراد فقتل منهم فوق
الخمسين فصادفته ضربة وقع الي الارض ووقعوا عليه بالسيوف حتى
صار لا يعلم احد راسه من رجليه رحمة الله عليه وكذلك وقع للامير
قانصوه رحلة فى الرميلة قيل انه قتل بيده مابة وخمسين فارساً من
ابطال الروم حتى قتل . واما باقى عسكر الجراكسة منهم من قتل بالبندق
ومنهم من هرب ومنهم من تبع السلطان طومان باى . وباتت مصر
ليس فيها جركسى الا ان كان مختفياً فعند ذلك دخل خير بك على السلطان
سليم واخبره بما وقع فشكره السلطان سليم على ما فعله من تمليك مصر
التي ماتت الملوك بحسرتها . فان سيبباى نايب غزةارسل للغورى لاتتعب
فى قتال سليم واقعد في مصر وارسل للعساكر . وان مكاتبات الخاين
خير بك لم تنقطع عن السلطان سليم فتأمل يا اخى كلام بعض اتباع الغورى
ولولا غدر خير بك والغزالي بارادة الله تعالى ما قدر رومى يشم غبار
مصر ولا يشرب من نيلها ولكن ظلم دولة الجراكسة ازالها . والملك
يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم . فعند ذلك قال السلطان سليم .
لخير بك صف لى مصر كأنى انظر اليها فوصفها له من أولها الى اخرها
فاختار النزول على شاطىء النيل في الجزيرة الوسطانية وانما طلع القلعة
فى ساعته وجلس على المصطبة التى تجاه الديوان . ونزل على الفور

خيفة على نفسه من العدو وبات فى الجزيرة . ولما قابلت حضرة مولانا الوزير عثمان باشا سنة واحد وتسعين والف صحبة شيخ الاسلام زين العابدين البكرى اوقفنى على المصطبة التي جلس عليها السلطان سليم فرايتهم حالوا دونها بخشبة صيانة لمحل جلوس السلطان سليم . وقديما والخلفا يسالون عن حكم اراضي الاقطار وما خواصها . ذكر المسعودى فى تاريخه . مروج الذهب ومعادن الجوهر . ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين فتح الله على يديه البلاد من العراق والشام ومصر وغير ذلك من الارض كتب الى بعض حكما عصره انا ناس عربٌ . وقد فتح الله علينا البلاد ونريد ان نتبوء الارض ونسكن الامصار . فصف لى المداين واهويتها ومساكنها . وما تورثه الترب والاهوية فى سكانها . فكتب اليه ذلك الحكيم . اعلم ياامير المؤمنين ان الله عز وجل قسم الارض اقساما غربا وشمالا وجنوبا وشرقا فما تناهى في التشريق ولمح فى المطلع السانح منه النور فهو مكروه لاحراقه واحتراقه وناريته وحدته وحرقته لمن احل به . وما تقحم مغربا ايضا اضر بسكانه لموازاته اذيت ما اوغل في التشريق . وهكذا ما تناهى فى الشمال اضر ببرده وقره وثلوجه واذاتيه للاجسام واورثها الاسقام وما اتصل بالجنوب نالها من احراق ناريته وما اتصل به من الحيوان وصار المسكون من الارض جزء يسيرا ناسب الاعتدال . واخذ بحظه من القسمة وسأصف لذلك يا امير المؤمنين القطع المسكونة من الارض . فأما الشام فتخت ركام وثج غمام وعدق ذهأم يرطب الاجسام . ويبلد الافهام . ويصفر الالوان . لا سيما ارض حمص فانها تحسن الجسم

وتصفي لونه وتبلد الفهم . وتجفى الطبع . وتذهب بماء القريحة وتنصب العقول . والشام يا امير المؤمنين وان كان على ما وصفت فمسرح خصب . ووابل سكب كثرة اشجاره واطردت انهاره وعمرت عشاره وبه انزل الانبياء وذوا القدر المجتبي وبه حل الاشراف من الصالحين والمتعبدين . وجباله مساكن المجتهدين

(صفة ارض مصر)

واما ارض مصر فارض قوراءورا . ديار الفراعنة ومنازل الجبابرة تفضل بنيلها وذمها اكثر من مدحها وهواها راكد . وضيرها زايد . وشرها بايد . تكدر الالوان وتخبث الفطن هي معدن الذهب والجوهر والزمرد ومغارس الغلات غير انها تسهل الاجسام وتسود الابصار . وتنموا فيها الاعمار . في اهلها مكر وخبث وزيادة دهاء وخديعة الا انها بلد مكسب لا بلد مسكن لترادف فتنها . واتصال شرورها . واما اليمن فتضعف الابدان . وتهذب الاحلام في اهلها همم كبار ولهم احساب واخطار . ومغايصة . خصبة واطرافه جديه . وفي هواه انقلاب . وفي سكانه اغتيال ولهم قطمة من الحنين وشعبة من الرقة . وفقيرة من الفصاحة . واما الحجاز . فحاجز بين الشام واليمن والتمايم . هواه حرور وليله دجور وينحف الاجساد وينشف الادمغه ويشجع القلوب ويسقط الهمة ويذهب الرحمة ويكسب الشجاعة ويقشع الفراعة وفي اهله غدر ولهم خبث ومكر . وديارهم مختلفة وهممهم غير مؤتلفه . واما العراق فباز المشرق وسرة الارض بها اتصلت النضارة وعندها وفق الاعتدال . فصفت امزجة اهله

ولطفت اذهانهم واحتدت خواطرهم . واتصلت مرايرهم فظهر منها الدهي . وقربت عقولهم وثبتت بصايرهم وقلب الارض العراق . وهو المحتبى على قديم الزمان . واما الجبال فذمها كثير . واما خرسان ارضها تكبر الهام وتعظم الاجسام . وتلطف الاحلام . ولاهلها عقول وهمم طافحة . وفيهم غرض وتمكير . ورأي وتدبير . واما ارض فارس فخصيب الفضي . رقيق الهوا متراكم الماء معتمر بالاشجار . كثير الثمار . لهم حب . وغرايزهم سنية . وهممهم وبية . وفيهم مكر وخداع . واما بلاد خورستان وهي كورُ الاهوان . فتفسد الاحلام وتبلد الافهام . وتخيب الهمم . وتستاصل الكرم وتستاق اهله سوق الانعام . والهمج الطغام . واما ارض الجزيرة فتتناسب البرد الهوى اللطيف وفيها خصب وسرح وفي اهلها شح . ولهم باس ومراس . والبرد افضل يا امير المؤمنين قطع الارض واسناها واشرفها واعلاها . نحو الانجاد والتهايم لحماية الهوي القذا عن سكانه . ودفعه الافات عن قطانه وسماحة الهوى وتهذيب الماء وصحة للتنسم وارتفاع الاكدار وذهاب الاهزار . واما ارض الهند والصين فلا حاجة الى وصفها لك لانها شاشمة نادية وبلاد كفر طاغية . وكلما وصفته في هذه البلاد فهو الاعم من امور اهلها والاغلب من احوالهم فان وجد فيها خلاف ذلك ففي النادر يا امير المؤمنين والحكم للاغلب اه . ما ذكره المسعودي قلت ما قاله الحكيم أن من ذم مصر اكثر من مدحها غير مُسلم ولو كنت حاضر عند امير المؤمنين حال قرائته هذه المكاتبة لقلت له يا امير المؤمنين لو وقف هذا الحكيم على قصر المبنى او قصر ذي القمار

كدخداى مستحفظان . لقال اجعلني بوابهما . او نظر الجيمانية . لقال اجعلني فراشها . او الروضة لقال اجعلني فلاحها . او القياس لقال اجعلني رداده . او ديوان مصر لقال اجعلني لواحه ويكفي مصر شرفا ما حكاه عن يوسف عليه السلام اجعلني على خزاين الارض . ويكفيها من المدح ان الله تعالي جعل الشام بدوا بالنسبة الى مصر . وقال وجاء بكم من البدو يعني من الشام الى مصر . وقال تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار معين . وفى الحديث القدسي ان الله تعالى يوم القيامة يمتن على عبده . الم اسكنك مصر الم اجعل ذكرك حتى تعرفك الناس . وقال عمرو ابن العاص فاتح مصر . ولاية مصر قادلبة تعدل الخلافة . وقال ايضاً من اراد ان ينظر الي جنة الفردوس فلينظر الى أرض مصر في فصل الربيع قبل طلوع الشمس . وكان السلطان سليم وقف على التواريخ السالفة فاختار النزول فى الجزيرة على شاطيء النيل وشرع في ارسال العساكر الي السلطان طومان باى فانه سار بمماليكه الى ناحية طرا والعدوية وتبعه العساكر الجركسية حتي بقي معه سبعة الاف خيال فاقتضي رأيهم بالرجوع الي مصر ويحاربون عدوهم الي ان يغلبوا او يغلبوا فرجع طومان باي ونزل فى الشيخونية وتفرقت العسكر فى الحارات من الروم نحو العشرة الاف واكثر في ليلة واحدة ثم اصبحوا فجأتهم عساكر الروم من جهة الكبش ومن جهة حدرة البقر فاقتتلوا مرات متعددة وظهرت الجراكسة على الروم منهم نحو الستين الفا في ثلاثة ايام وكل مرة نري الروم منهزمين . فعند ذلك اقتضي رأي السلطان سليم ان يركب هو بنفسه . ويأتى من جانب باب القرافة ويلتقي طومان باى فى الرميلة فاما له واما عليه . ونوي ان

وقعت الكسرة عليه يستمر سائرا الي بلاد الروم . فلما فعل ذلك وجاء
الى الرميلة اطبق الجو من حس البندق . والزربطانات . فلما سمعت
الجراكسة ذلك انهزموا بعد ما كانوا غالبين مستبشرين بالنصر فهرب
غالب عسكرهم وقالوا من يقابل هذه النار المهلكة واما طومان باى
فانه لم يهرب وحطم حطمة الاسد الغضبان . وقتل فيهم قتلى حتى كل
ساعده ولكن ماذا يفعل الواحد فيما بين الوف . ثم رجع فلم ير خلفه
احد وكان قد تواعدوا مع عسكره انهم اذا حصل لهم هزيمة ميعادهم
الجيزه فذهب الى مصر القديمه وعدى الى الجيزه وتبعه مماليكه وبعض
العسكر حتى بقوا نحو الالفين . واما السلطان سليم فانه رجع منصورا الي
الجيزه الوسطانية . وارسل وراء خير بك فقال له ما الرأى عندك فقال
له لم يبق لهم بعد هذه الصدمة راي وقد هرب غالب العسكر ولم يتبعوا
طومان فالرأى عندي ننادى لهم بالامان وبعد ثلاثة ايام كل من كان
عنده جركسي واخبر السلطان وقبض عليه فعليه الامان هو ومن يلوز به
فبقيت اولاد مصر كل من كان عنده جركسى يأتى الي خير بك ويخبره به
فيرسل جماعة يقبضون عليه ويأتون به الى وطاق سليم يضربون عنقه
ويرمونه فى البحر فمن جملة من كان مخبى كرتباي الوالى فانه جاءته بندقية
في فخذه اخرته فما ساعه الا ان هرب فاختفى عند رجل من اصحاب
المباشرين اسمه يحيي بن بكر . فلما سمع بالنداء قال في نفسه
احق ما افعل انى اذهب الى وطاق سليم فاخبره بان كرتباي الوالي
عندى وان يرسل اليه منديل الامان واقابله وا كتفي شره ويصير له يد
عند السلطان . واجتمع به خير بك ففرح السلطان بذلك واوعده انه

يعطيه اي منصب شاء وارسل معه منديل الامان والمصحف وكتب له كتابا اذا جاء وقابل لا يفعل فيه شيئاً وعليه امان الله . وامان رسوله . فلا يري منه الا ما يسره

(تنبيه)

انظر يا اخي بصرك الله الى الله المشتكى من اهل زماننا يكتب شارف البلدان وملتزمها للخايف عليك امان الله وامان رسوله بالافراد واماننا بالجمع . ثم زكى نفسه بانه السعيد . فما اقبحه وما اجسره فرحم الله مولانا السلطان سليم ما اكثر ادبه مع الله حيث لم يذكر امانه مع امان الله وامان رسوله صلى الله عليه وسلم وان كان بعد ذلك . حمله الخاين خير بك على الخلف ثم رجع يحيي بن بكر الي كرتباى وبشره بالفرج واجتمع بالسلطان سليم واعطاه منديل الامان وحسن له عبارة في المقابلة ودخلت رأسه الجراب واجاب في المقابلة وقام من ساعته وركب معه الى الوطاق فلما رآه خير بك فرح به فرحاً بورث ترحاً . وقال له يا امير كرتباى أمن عقلك تتبع هذا المجنون المخاطر بنفسه يعني طومان باي . فسوف ترى كيف ناتي به ذليلا حقيرا ولكن حيث جيت طايعا مختارا فما خوف بعد هذا اليوم . ثم دخل خير بك على السلطان واخبره بمجيء كرتباي الوالى . فقال له اتيني به وخرج السلطان سليم الي ظاهر الخيمة وجلس على كرسى ونظر الي كرتباى الوالي قال له انت فلان . قال نعم . قال اين مروئتك اين شجاعتك قال باقية على حالها . قال تذكر ما فعلته بعسكرى قال اعرفه وما نسيت منه شيئاً . قال ما فعلت بابن سوار . قال قتلته مع جملة من عسكرك . لما عرف من

عين السلطان الغدر وانه يخونه وما بقي له منه خلاص . فترك الادب وتكلم بكلام من ايس من الحياة وجعل عينه في عين السلطان سليم ورفع يده اليمنى فى وجه السلطان وقال له اسمع كلامي واصغ اليه . قد تعلم انت وغيرك أنا منا فرساناً المنايا والموت الاحمر بل لو بلى واحد منا بعسكرك لافناه وحده واذا لم تصدق جرب .واما عسكرك ان يتركوا ضرب البندق فقط وها انت معك ما بين الوف من كل جنس . وقف مكانك وصف عسكرك ويخرج لك ثلاثة انفار عبد الله الفقير والفارس الكرار طومان باى والامير علان وانظر بعينك . وكيف نفعل هذه الثلاثة تبقي تعرف روحك ان كنت ملكا او يصلح لمثلك ان يكون ملكا . فان الملك لا يصلح الا لمن يكون من الابطال المخبوره كما كان عليه السلف الصالح انظر في التواريخ ما كان من الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكذلك الامام على بن ابى طالب كرم الله وجهه واما انت لقيت لك عساكر من اطراف الدنيا من نصارى وروم وغيرها وجيت بهذه الحيلة التى تحيلت بها لفرنج لما عجزوا من ملاقات عسكر الاسلام وهي هذه البندقية التى لو رمت بها امرأة لقتلت بها كذا وكذا انسانا . ونحن لو اخترنا الرمى بها ما سبقنا اليها احد ولكن نحن قوم لا نترك سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وهو الجهاد في سبيل الله بالسيف والعود . والله يؤيد بنصره من يشاء . كيف ترمي بالنار على من يشهد لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة . وقد جاءنا بهذه البندقية رجل مغربى للسلطان الغوري رحمه الله . وقال وقد استعملها سائر عساكر الروم . وهى هذه البندقية فامره ان يعلمها لبعض مماليكه ففعل . وجيء

بهم فرموا بحضرته فساءه ذلك وقال للمغربي نحن لا نترك سنة نبينا ونتبع سنة النصارى . وقد قال تعالى﴿ان ينصركم الله فلا غالب لكم﴾ . فرجع المغربي وهو يقول من عاش ينظر هذا الملك كيف يؤخذ بهذه البندقية . وقد كان كذلك . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . فقال السلطان سليم حيث ان فيكم الشجعان والفرسان وانتم على الكتاب والسنة كما زعمت فباى سبب غلبناكم . ومن أرضكم اخرجناكم واستعبدنا اولادكم . وافنينا جموعكم . وانت جيت اسيرا بين ايدينا فقال الامير كرتباى . والله ما اخذتم ارضنا بقوتكم ولا بفروسيتكم . وانما ذلك امر قضاه الله وقدره فى الازل . وقد جعل الله تعالى لكل شيء بداية ونهاية . ولكل دولة مدة معلومه . وقسمة مقسومه . وقد جرت عادة الله تعالى فى خلقه اين الائمة المجتهدون . اين الملوك والسلاطين . وايضا انت لا بد ان مت يخرج جميع هذا النظام وما اظنك الا انك من الذين قال الله في حقهم سنستدرجهم من حيث لا يعلمون . كيف بك اذا وقفت بين يدى رب العالمين . فانفحم منه السلطان . ولكن أظهر الحلم وقلبه يتوقد من شدة الغيظ لما اغلظ عليه كرتباى . واقام عليه الحجة . ثم قال . واما قولك أنك اخذتنى اسيرا فقول باطل . وانما جانى رسولك بكتاب من عندك مختوم بختمك وهاهو فظننت انك تقف عند قولك فما رأيت من ذلك شيئاً . وقد ورد المؤمنون عند اقوالهم . والمؤمن ان قال صدق وان قيل له صدق . قال الله تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا فازداد السلطان سليم غيظاً ولكن أظهر الحلم تصنعاً . واما خيربك

فقد طاطا راسه وبقي العرق يقطر من وجهه . قال ومما ورد فى الحديث الشريف . من كن فيه اربع خصال فهو منافق . اذا ائتمن غدر . واذا عومل نكر . واذا قوطع هجر . واذا خاصم فجر وانت تزعم أنك تريد ان تكون خادم الحرمين الشريفين فانك من أهل العدل والانصاف . فما رأينا شيئاً من ذلك . وانما رأيناك من أهل الجور والاسراف ياويحك كيف تنادي للناس بالامان . واذاجاؤك تخونهم . ولكن كفاك ان اسمك سليم خان . والله قد رأينا في التواريخ ان الملوك التي كانت قبلنا من الاتراك والاكراد أن النصارى اذا قالوالهم قولا وحلفوا عليه لايختلفوا وهم نصارى فكيف بمن يدعى أنه من الملوك العادلة ويريد أن يكون خادماً للحرمين الشريفين وهو لا يصدق في قوله والكذب سيمة المنافقين فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . فلا يغرنك ما انت فيه وما اصبحت دولتك فيه من الاقبال فانه لا بد لكل اقبال من ادبار . ولكل جمع من تفريق . ولكل اجل كتاب . ولكل توفيق من اختلاف وقد كنا نحن أقوى منكم وأشد باساً وأعظم مرأسا فانظر كيف فعلت بنا هذه الدنيا الغدارة المكان . وبعد ما حصل لنا ذلك . انابينكم وحدي بمفردي وأمر عساكرك بان يضربوا على يدك ويبرزوا لي مائة أو مأتين بمأتين أوالف بالف . وانظر ما أصنع فيهم كل ذلك والسلطان سليم ساكت وهو على معنى لكلام الامير كرتباي وجراءته على هذاالكلام واستحضاره هذه الاجوبة مع انه متحقق الهلاك لا محالة فقال السلطان كيف اتركك على عسكري تفرغهم . قال كرتباى باي سبب بعد ذلك تذمنا وتؤذينا وتزدرينا فانه والله لا يهمنا كثرة جموعكم ولا رمي بنادقكم وانما كان

سبب زوالنا خلف طريقتنا . فنظر السلطان الي خير بك وامره بانه يتقرب منه حتى يشاوره في امر كرتباي فلما وقف بين يديه قال ماتقول فى امر هذا الرجل وجراءته وقوة قلبه ان قتل مثل هذا لا يليق وليس فى عسكري مثله وافتخر به فى جندى واجعله صنجقا فاصفر خير بك وقال يامولانا السلطان ان ابقيت هذا . وجعلته وزيراً أعظم منا لا يبقى عليك ولا علينا ويفني عسكرك وانما قال ذلك بغضاً فيه وفي ابناء جنسه فقال السلطان فما الرأى قال اضرب عنقه واكتف من شره وتاخر خير بك ووقف مكانه ولونه مصفر فعرف الامير كرتباى انه حسن للسلطان قتله . فقال للسلطان انظر هذا قائدك لجهنم اصنع ما شئت انت وهو . ومن لم يمت بالسيف مات بغيره . فعند ذلك نظر اليه السلطان نظرة الغضب وقال له رأيت ان اعتقك وافرج عنك واجعلك اميراً من امراى فرأيناك قليل الادب جرى اللسان فقال له الامير كرتباي معاذ الله ان اكون من امرائك واتباعك وانت بهذه الصفة فنادى السلطان باعلا صوته وقد احمر وجهه من شدة الغيظ . وقال اين الجلاد قال نعم قال اضرب عنق هذا الجركسي . فقال له كرتباى قطع راسي واخذه لا يفيدك منه شيء فان وراى ابطال وفرسان وشجعان وكفي بالسلطان طومان باى نصرة فلما سمع السلطان سليم ذلك امر السياف ان يضرب عنقه فضربه وذهب الى رحمة ربه ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون . ذكر ذلك ابن زنبل حرفا حرفا ﴿ واما السلطان طومان باى ﴾ عدى الى بر الجيزه وصار معه نحو الالفين خيالا كل فارس يقوم بالف وذهب الى الصعيد وقصد هوارة وطلب منهم النصرة . وان يرفع عنهم الخراج

ثلاث سنين فابوا وقالوا قد بلغنا ان الروم لا تقاتل الا بالنار فانثني راجعاً وتبعه نحو سبعة الاف خيال فانه كان مقبول الصوره محبوباً عند كل احد فوصل اطفيح فراي قلوع مراكب بكثرة . قالوا هذا السلطان سليم جاءنا وارسل لنا سخا فلما عاينوا بعضهم ودخلت المراكب البر طلع من الرماة نحو خمسة الاف رامي وخمسين زربطانة وكان السردار على ذلك الجيش جانم كاشف الفيوم فانه كان مع السلطان طومان باي بعد الزيدانية واجتمعوا عند طري والمدوية واتفق رأيهم ان يكبسوا على السلطان سليم بالجزيرة الوسطانية التى بين بولاق وقصر العيني فلما علم بذلك جانم السيفي ذهب الى السلطان واخبره واخذ له منه اماناً فتكدر السلطان طومان باي وقال سيندم حيث لا ينفعه الندم . وهل يرتجى من المدوخير فلما اجتمع جانم السيفى بالسلطان سليم فبلغ الخبر لطومان باي فامسك ولما علم السلطان طومان باى ان هذه المراكب جاء بها الامير جانم السيف واطلقو طلقا ذازلوا الارض وارسل لطومان باى يقول له غدا الحرب بيني وبينك فقال حباً وكرامة . فلما أصبح النهار تصافوا للحرب فاما العرب المجتمعة تأخروا وبعدوا عن النار وقالوا كل من انكسرت عليهم نهبناهم . واما السلطان طومان باي فانه ثبت للحرب ولم يتأخر عن مكانه فكان اول من خرج في حومة الميدان جانم السيفى ونادى باعلا صوته لا يبرز لى الا طومان باي ولعب اندابا فى الميدان حتى ادهش الناظرين وقوى قلب الروم وقالوا ما يقاوى طومان باى فى الفروسية الا هذا البهلوان وصاروا يشكرونه فلما سمع منهم ذلك زاد لعب الانداب حتى تعجب الحاضرون من الروم . ثم بعد ذلك وقف فى حومة الميدان

وقال للجراجسة اين فرسانكم اين شجاعتكم فخرج من بينهم فارس كأنه الباز اذا انقض على الصيد وقال غرتك نفسك ياجانم وخنت ابناء جنسك فسود الله وجهك ياخائن فقال له بطل هذا الكلام وابرز للضرب بالحسام فقال له اصبر حتي اريك لعب الانداب كما صبرنا لك فقال دونك والميدان وكان ذلك الفارس دولة باي كاشف الجيزة فلعب في الميدان اندابا فاق على جانم فتعجب الروم وقالوا لو علم السلطان سليم . وعلمنا ان هؤلاء القوم بهذه الصفة ما جئنا بلادهم ولكن ما بقي الكلام يفيد وانقطعت قلوبهم وقالوا ان هؤلاء القوم كل واحد منهم يقوم بجيش وحده . ثم انتظم الاثنان جانم ودولة باى فوقع من الحرب ما حير النظار الى بعد العصر فلما رأى جانم من خصمه ذلك رمى الرمح وسحب السيف وضرب دولة باي على خودته فقطعها وجرحه جرحاً خفيفاً فلما ساح الدم غيطت الروم باجمعها عفارم عفارم ثم قوي قلب جانم . ضرب خصمه ضربة ابرار محه فبقي الرمح في يد دولة باى من غير حربة فاقلب الركيز ورماه على جانم فدخل الركيز في جنبه اشتبك بين اضلاعه فوقع عن جواده فنزل دولة باى ليقطع رأسه وكانت تدفق عليه الروم بجملتها فلما لم يتمكن من عدوه فما ساعه الا تركه وانكبي على جواده . وانتظم الجيشان فلله در الالفين تقاتل عشرين الفا وكسروهم حتى وقعوهم فى مراكبهم . وكان قد ولي النهار فنزل عسكر الروم الي المراكب وعدوا الى ذلك البر . (واما السلطان طومان باى) بات فى البر الغربى فلما جن الليل جلس السلطان طومان باي ودعا الامير شاز بك وبقية الامرا وضربوا الشورة فاقتضي الرأي ان يفترقوا فرقتين فرقة مع الاميرشاز

بك وفرقة مع طومان باي وان يتوجه الامير شاز بك الي بعد ويقف الامير طومان باى فى موضع المعركة فان عدوا الروم وجاءوا لنا اخذناهم مواسطة (واما) عسكر الروم لما أصبحوا قالوا لجانم ما الرأى عندك قال نذهب للحرب اما بنا واما بهم . فلما رأوا جانم مصمم على الحرب قالوا انت مجروح ومابقي لك قدرة على الحرب قال انا واحد وانتم الوف تحتاجون لواحد . وكان المخاطب لهم اغات الانكشارية فلما سمعوا منه ذلك قالوا لبعضهم صدق فى قوله فمدوا الي البر الغربي وطلعوا الى موضع المعركة فرأوا قد قتل منهم الفان وخمس ماية ومن الجراكسة قتل سبعة عشر . فقالوا لبعضهم ما هؤلاء الجراكسة الاجن فكيف يكونوا ان لو لم يكن معنا هذه النيران فكيف حالنا وكيف مالنا بقي مناص من الرجوع بغير حرب فبادرتهم الجراكسة بالحرب فلتطموا فيهم فى قوة الحرب واذا بالامير شاز بك جاء من خلفهم بعد ان اخذ المراكب التى على الساحل بجملتها فما انفلت منهن غير مركبين وارسل الجميع مع عشرين جنديا الي وطاق السلطان طومان باى . وانطبقت على الروم الفريقان من الجراكسة وكل فرقة الف خيال والروم نحو العشرين الفا بما معهم من العربان فما مضى غير ساعة حتي انكسرت الروم وقصدت المراكب فلم يجدوها فاطلقوا عنان خيولهم على شاطيء النيل . فتبعهم قانصوه العادلى فنجوا منه بالهروب لبعدهم عنه وجميع ما كان معهم من الزر بطانات والبندقيات ومن الات الحرب وغيرها كله بجملته قسمته الجراكسة . واما جانم واغات الانكشارية فانهم لا زالوا سائرين على شاطيء النيل حتي لحقوا بالمركبين المنفلتين من الامير شاز بك كما تقدم فنزلوا

وارتخوا فى التيار فلما رأهم قانصوه العادلي طلعوا في المراكب ايس منهم فرجع متأسفاً الذي لم يبلغهم . وقد كان السلطان طومان باى افتقد من قتل منهم فوجدهم خمسة وثلاثين رجلا بالبندق فلما علم السلطان سليم بذلك كاد ان يتمزق من القهر وارسل خلف خير بك وقال له قد غدرت بنا وادخلتنا في بلاد هؤلاء ولا احد يسهل عليه ترك بلاده ولو ان طومان باي اعطانى السكة والمنبر لرجعت عنه من الشام ولا دست هذه الارض برجلي . فقال له خير بك يامولانا السلطان ان طومان باي رجل عاقل وانا أعلم انه ليس له رغبة فى ان يكون ملكا وانما السلطان الغورى اوصى امراءه انه ان اصابه شيء يسلطنوا عليهم طومان باي لما يعلموا من عقله وزهده وفروسيته وشجاعته فانه فريد عصره . وبعده الامير شاز بك الاحول والامير علان قد مات وجاني خبره انه جاءته زربطانة في فخذه كسرته وكرتباي الوالى قطعت رأسه كفيت شره فقال السلطان والله ياخير بك عمري ما رأيت مثل قوة قلب كرتباي ولا قدرته وهو واقف بين يدى متحقق انه لم يبق له منا خلاص مع ذلك اقول انى اريد ان ابقى عليه واعفى عنه واجعله من امرائي فلم يرض ولم تنكسر نفسه لشيء من ذلك واختار الموت ولم يدخل تحت طاعة عدوه . فلو علمت ان هؤلاء القوم بهذه الصفة ما دخلت لهم دياراً ابداً ولكن أنت غريتنى واطمعتني في أخذ هذا الاقليم فانظر كيف تصنع وربى نفسك كيف تعرف والا فهى نفسك وناخذ راسك واغتاظ السلطان من خير بك غيظاً شديداً فخرج من عنده وهو اعمى اصم لا يعلم كيف يصنع فلقيه يونس باشا فقال له ما خبرك فاخبره بما قال السلطان له فقال والله صدق السلطان

والله لو سمع مني لاشرت عليه بان ينادى فى عسكره بالرحيل ونرجع الى بلادنا واوطاننا ونحن بالسلامة . فانك لاجل غرضك وكراهتك فى أبناء جنسك جوّنتنا بين قوم يغلبون الجن . فضلا عن الانس ولكن ما بقي الكلام يفيد فخاف خير بك على نفسه وحسب الحساب في أن يونس باشا يكرهه وربما تكلم مع السلطان في قتله ورجع الى السلطان ودخل على عقله بكلام البسه عليه . واما السلطان أرسل مصطفي اغا ومعه خمسماية يحفظونه من الطريق خوفا من العرب وارسل معه مكتوبا للسلطان طومان باي انه ما يريد الا اسمه فى الخطبة فى السكة . ولا يريد بلاد مصر وحلف ايمانا اكيدة . وكتب لشازبك مكتوبا كذلك فلماقري المكاتيب . قال شازبك اما انا لا أدخل فى طاعة عدوى وانت ما بينك وبين الملكة الا مقابلته فقط . وقبضوا على القاصد وجميع من معه وضربوا رقابهم أجمعين . وكانوا يزيدون على الف ادمى وامر السلطان باي بالمسير الى جهة مصر فلا زالوا سائرين حتى أشرفوا على بركة الحبش فرأوا بها وطاق السلطان سليم فوقفوا ينظرون ويتأملون وان يضربوا الرأي كيف يصنعون علموا أن السلطان سليم ما خرج لبركة الحبش الا يريد الحرب ويريد يعدى ابر الجيزة . قال الراوي . فبينماهم واقفين واذا بكردوس من الخيل قادم عليهم . واذا به الامير ازبك الناشف تقدم الي السلطان طومان باي وقبل يديه واعتذر له بانه كان يحبي بسبب جراحة اصابته في الريدانية واخبره بان الغزالى كان راس الملاخين عليهم حين أخرجوا المدافع وامرهم بردمهم تحت الرمل فقال طومان باي والله اني عرفت ملاخيته لما أرسلته بالجيش ولكن أرجوا

ان الله يلقى كيده في نحره واما السلطان سليم فانه لما جاه جانم السيفي واخبره بما جري ان السلطان طومان باي قادم بجيوشه فارتاب السلطان سليم كذلك وقال كلما اظن ان الامر قد هان فما أنظره الا يزداد شدة فعند ذلك أمر يونس باشا بان يأتي بالامرا المسوكين عندهم بانه نادي لهم بالامان . وكان ذلك مكيدة من خيربك فبقي كل من يأتى لهم بالامان ان يجلسوه ويوعدهم خير بك اذا تم الامر يعطى كل واحد منهم مرتبة وصنجقية فلما جاءت الاخبار ان طومان باي قتل القاصد ومن معه الذى أرسلهم السلطان سليم اغتاظ غيظاً شديداً وأرسل احضر الامرا المحبوسين بقلعة الجبل من الجراكسة ضرب رقابهم اجمعين وكانوا نحو الستين اسيراً من اكابرهم ثم أمر السلطان سليم بالتعدية الى بر الغرب ليقاتل السلطان طومان باي بنفسه فاما له واما عليه فلما عدت المراكب الي البر الغربى فكانت كل تعدية فيها نحو الالفين وأما السلطان طومان باي فانه كان واقفا يترقب خلف ربوة عالية واقام واحداً ينظر له ما الخبر فلما أخبر بان الروم وصلت لي البر فقال فى نفسه احسن ما يكون أقطعهم أول باول (قال الراوى) فعند ذلك رمح عليهم رمحة واحدة فما شعروا الا وهو كابس عليهم واوقع فيهم القتل فما وصلت المعدية الثانية الا وقد افني غالب الاولى فارتج عسكر السلطان سليم وتشتت شمله فنهم من قتل ومنهم من انقلبت به المركب فحصل للسلطان سليم كرب عظيم وندم على ذلك وقال لو أشار عليّ أحد لقتلته ولكن هذا بذنب الامرا الذين قتلتهم بغير ذنب فعند ذلك منعهم التعدية وبضربوهم بالنار فرموا طلقا دوت له الدنيا فلم يصبهم لبعدهم وقد حصل للسلطان طومان باي غاية النصر واذا

بغبار ثار من خلف اظهرهم وصيحات وعيطات وخيل قدملأت الوادى فوقفوا ينظرون ما الخبر فلما قربوا منهم واذا بهم عرب غزالة يقدمهم حمّاد واخوه سلاّم بن الخبير وكان سلام هذا لا يطاق فبادروا السلطان طومان بالسب والشتم والكف عن محاربة السلطان سليم وقالوا ان لم ترجع عن محاربته والا كنا كلنا عليك ونأخذك مواسطة ولكن أرجع الى حيث شئت واخرج من أرض مصر فانكم قد قتلتم خلقاً كثيرا ايام دولتكم وما منا أحد الاوله واحد قتلتموه اما اخوه او أبوه أوقريبه وقد أزال الله دولتكم وجاء بهذا الملك العادل فقال له السلطان طومان باي ستنظرون أرواحكم بعدنا وكف وانثنى راجعاً بعد ان خادعهم بالكلام فلم يقبلوا فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم الله اعلم ياغوات ان دولتنا قد زالت واحمالنا قد مالت وما بقي لنا في هذه الديار نصيب ولكن لنا اسوة بمن كان قبلنا فانظروا الى هذا الرجل سليم وكلما قتلنا من عسكره احداً ونقول ضعف امره فيرسل الله تعالي من ينصره قهراً علينا (وما النصر الا من عند الله) وقرأ قوله تعالي ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فما الرأى عندكم قالوا الرأي ما تراه واما نحن بين يديكم كلما تفعله نحن على مرادك فقالوا سيروا بنا الي جهة الهرم واستشاروا فاقتضى رأي السلطان طومان باي ومن معه من الامرا ان يرحلوا الى دهشور وينادى في البلاد ان الخراج بطال ثلاث سنين وان من أراد القتال ونصرة السلطان طومان باي فاليسرع الينا وله مالنا وعليه ما علينا فاجتمع عليهم عالم عظيم من عرب ومن فلاحين واقتضي رأيهم ان الامير شاز بك يكون باشا على

عشرة الاف فارس وراكب وماشي ويذهب الي قتال سليم كل محل صادفه فيه وان طومان باي يستمر في دهشور حتى يأتيه الخبر من عند شازبك فهذا ما كان من هؤلاء واما السلطان سليم فانه ضاق صدره وندم على دخوله مصر حد الندم وخشي ان يطول عليه الحال ويدخل عليه الشتا وينقطع عنه خبر بلاده من النصارى ويدبروا امراً على اخذ القسطنطينية فاشتغل فكره ودخل عليه الوسوسة ونوى بقتل خير بك ودخل عليه خبر ان الاطفيحية خرجت عن طاعة السلطان سليم وقامت العربان كلها على ساق لنصرة السلطان طومان باي فازداد السلطان سليم غماً على غمه فاقتضى الرأى يرسل تجريدة تمهد العربان وتأمرهم بطاعة سليم وجعل باش التجريدة الغزالي لأنه اعرف بهذه البلاد وقال هذا اسهل ما يكون ولا يهتم مولانا السلطان سليم بشيء وتوجه معه خمس ماية فارس من الجراكسة وخمس مابة انكشارية يرمون البندق فلما وصل اطفيح ورأي البلاد كلها قايمة على ساق والعربان مجتمعة فلما رأوه قصدوه وبادروه بالسب والشتم ثم وقع بينهم الحرب فكانت الكسرة على العرب لموجب النار فهربوا فامر بنهب نجوعهم وسبيهم وحريمهم واولادهم وارسل ذلك جميعه الي مصر وامر ببيعهم في الرميلة ووقع ما لايذكر ودعوا على الغزالي حتي دعت عليه اليهود والنصارى فلما سمعت العربان عصت في جميع الاقاليم وكذلك المشير من الخوف وكان يحيي بن الامير يزيد صاحب بركة الأزبكية لما كان واقعة الريدانية وانهزمت الجراكسة ذهب على ظهر بلاد بني حرام وكان لهم صهراً وهو مقيم عندهم والاخبار ترد

عليه وقلبه مع السلطان طومان باي ولكن لا وصول له اليه فلما كان
كذلك وعصت جميع البلاد فرأى له طريقاً الي الخروج فصار هو وبني
حرام يخرجون ويدرون في البلاد والطرقات فلما وصلوا الي باب
النصر وباب الشعرية وكلما وجدوا روميا قتلوه فقتلوا من الاروام خلقا
كثيراً وكان سيدي يحيي شجاعاً فتوجه لدمشور وقابل السلطان طومان
باي وفرح به فرحاً شديداً وسأله عن حاله فاخبره بما فعل هو وبنوا
حرام في الاروام فامر ان يكون مع شازبك في اعظم المراتب ففرح
بذلك قال الناقل هذا ما كان من هؤلاء واما ما كان من امر السلطان
سليم فانه لما نظر في الامور المفزعة . والاحوال المطربة . ضاق صدره
وتحير امره وقال لارباب دولته ماذا تقولون في هذه الطايفة القليلة التي
كلما أقول امورهم هانت فما ارى الا شرهم يزيد . وقد صار لنا منهم
غاية التنكيد . فانه والله كان الصواب في رجوعنا من الشام ولكن
قضي الله علينا بهذه الاحكام فقال يونس باشا أنه كان رجوعنا من الشام
هو الصواب الان خير بك لما وعدته بان يكون ملك مصر مادام في قيد الحياة
صار يميل الي تحصيل مراده وهو هلاك ابناء جنسه واستقلاله بالبلاد والملك
وترجع أنت ومن معك ان سامناو يستغل البلاد هو لنفسه وقطعت آماله
بأنك ماتأخذ منه مالا أبداً فهو يجتهد في ذلك غاية الاجتهاد . فحصل عند
السلطان تغير عظيم على خير بك حتى ايقنوا اجمعين انه لا يبقى عليه ابداً
وكان يونس باشا أخلاقه حميدة وأوصافه جميلة وكان يعرف أن خير بك
ما مراده الا بلوغ مراده ولكن دخل على عقل السلطان سليم فصار
يصغي لقوله فصار السلطان سليم متحيراً في نفسه ان قتل خير بك وهو

مسجون فى أقليم مصر وقامت جميع البلاد عليه من المشرق والمغرب فلا يأمن على نفسه فما ساعه الا الصبر واخذ فى التدبير كيف يفعل فقال السلطان سليم لارباب دولته نحن وفدنا ارض القوم وسبينا حريمهم وقتلنا اكابرهم فما نريد بعد هذا كفي ما قد جرى وصار الاحسن فيما اراي ان نجعل بيننا وبينهم صلحاً ونترك لهم بلادهم ونرحل عنها ونخليها لهم فانهم فى الحقيقة مسلمون الا عندهم باس وغرور . ولله عاقبة الامور فقال الحاضرون نعم الرأى ما يراه مولانا السلطان سليم فقال الوزير الاعظم يونس باشا ان هذا في خاطرى ان نرجع من الشام لاوطاننا ولكن اذا اراد الله أمراً لا بد منه ولا مرد فقال السلطان سليم هذا الرجل طومان باي شاز بك كلما ارسلنا لهم رسولاً قتلوه ونخاف أن نرسل لهم آخر فيقتلوه كما قتلوا غيره فقال أمير ياخور كبير وهو احمد شاه الذي كان تسلطن بمصر فى ايام السلطان سليمان يامولانا السلطان الرأي عندى ان نرسل لهم قاصداً من جنسهم جركيساً ان قتلوه فهو منهم وان بقوه رجع لنا بخبرهم . وننظر ما يفعل فقال السلطان سليم نعم الرأى ما رأيت ونعم القول ما قلت فاقتضى رأيهم ان يرسلوا خشتدر فارسلوه فلما وصل الي دهشور فرأى جيشاً عظيماً فلما وصل اليه واذا به الامير شاز بك وهو قاصد قتال السلطان سليم فلما اجتمع به قال له الامير شاز بك ما معك أيها الامير وفي أى شيء جئت فقال جئت بالصلح بينكم وبين السلطان الذى هو أعظم ملوك الارض ليس أرى لكم ان تعادوه والرأي عندى أن تدخلوا تحت طاعته أحسن من أن تصيروا فى قبضته وتذوقوا بين يديه العذاب وتقطع منكم الرقاب

فقال له الامير شاز بك أمرك عجيب فقال لماذا قال لانك كنت تقول قبل مجيء هذا الملك الذى تزعم انه اعظم ملوك الدنيا ان جاء الروم الى أرضنا اول من يقاتلهم انا أكون فداءً لابناء جنسي فلما ذهبنا الي شرق أطفيح ورجعنا الى حرب عدونا ورأينا ان نكبس عليهم ليلا فهربت أنت منا ورجعت الى عدونا الذي كنت تقول أول من يقاتلهم انا واخبرته بما دبرناه وأطلعته على ما أضمرناه فلا أدري أفعلت ذلك من جبن في قلبك أو خبل فى عقلك ثم أعجب من هذا كله انك جئت اليوم تريد الصلح فلا ندري اخصم أنت أم حكم فقال له خشتدر صحيح أني فعلت ذلك وما فعلته خوفاً من الحرب وانما فعلت ذلك لما رأيتك صرت دويدار كبير وتعاليت علينا العلو الزائد كرهنا ان نكون تحت امرك وإن ننقاد بقولك وفعلك فقال له الامير شاز بك من حسن عقله وحلاوة لسانه وطول روحه وأدبه في جوابه والله يامير خشتدر لو نلت هذه الوظيفة التى حسدتني عليها كنت أنا اول من يخدمك فقال له خشتدر وقد خجل منه واستحى والله انا كنا حسدناك عليها ولكن سمعنا عنك ما نصدقه من الفروسية والشجاعة ورأينا ذلك عياناً فقلنا والله انه احق بها واهلها ولو لا ان السلطان طومان باي رأى انك تستحق ذلك ما أعطاه ثم تطاول بالفاظ قبيحة وبفعل قبيح أوجب أن الأمير شاز بك طرده وقتل جماعته ودخل وطاق السلطان سليم مهزوماً فلما علم السلطان سليم بذلك اغتاظ غيظاً شديداً واحتار لا يدرى ما يفعل ثم انه عزم على الرحيل الى بلاده وترك هذه البلاد الي اهلها وقال هذا امرٌ يطول ولا طايل فيه فأخبر خير بك وقال له أني اريد

الرجوع عن هذه البلاد وأتركها لاهلها وما عسى ان أفعل فانى كلما أقول ان الامر قد هان فما أنظره الا يزداد شدة قال الراوي فلما سمع خير بك ذلك شق عليه ذلك الامر وقال يامولانا السلطان ان فمات ذلك الامر سقطت من أعين الملوك ولا تقام لدولتك قائمة ولكن الصبر عقباه الفرج ومن تأنى نال مايتمني فعند ذلك قال لخشتدر رأيت طومان باي قال مارأيته ولكن لاقاني شاز بك في الطريق بالفي فارس يقول انه يفتح بهم مشارق الارض ومغاربها فقال له السلطان سليم أنت رأيت شاز بك الاعور قال نعم وقربت منه حتى نظرت في وجهه فصفه لى فانهم وصفوه عندى مراراً عديدة فقال ليس هو طويل ولا قصير وانما هو شرطة الناس وليس هو سمين ولا رقيق. الا أن قوائمه كقوائم البعير وأعرض مافيه صدره وأكتافه وأدراعه عربي الوجه وليس هو أعور كاسمه الاعور. ولا به حول وانما اذا مال بعينه على جانب تكون أحدهما بياضها أزيد من سوادها قال الراوي فلما سمع منه السلطان هذا الكلام قال صدقت وقد طال الكلام بينهم حتى تمكنت أنت من النظر اليه قال نعم حتي انى سألت من جماعة خشتدر فقالوا اننا رأيناه بأعيننا وهو يمسك الفحل الجاموس من قرونه ويجذبه فيقلبه من مكانه ويلوى قرونه بيديه فيقلبه على جنبه والناس تنظر اليه فقال صدقت انى سمعت عنه هذا الكلام ولكن اذا نزل القضا عمى البصر فلا تفيد الشجاعة فسأقبض عليه وأقطع رأسه وأنت تنظر اليه فان دولتهم قد انعكس طالعها ثم ان السلطان سليم ألقى كايته الي الحرب وأمر ان تمسك

جميع المراكب ويجعلها صفاً واحداً من مصر الى الجيزه جسراً وأمر
ان تعدى عليها العساكر ففعل كما أمر وأخذ معه عشرة آلاف فارس
ومثلها مشاة وأخذ معه خير بك وأوصي الوزير يونس باشا يرسل خلفه
الغزالي فلما عدى السلطان الى بر الجيزه ومعه سيدى محمد بن الغورى
فانه عاهده على يد القاضى انه لايضره وأكرمه غاية الاكرام وخلع
عليه وزاد في اكرامه حتي اطمأن اليه وصار يأخذه معه فى كل محفل
ذهب اليه وأما الامير شاز بك فانه سار بمن معه حتي وصل الى أقليم
الجيزة وعن يمينه الامير قانصوه العادلى وسيدى يحيى بن الامير مرزبك
والامير دون باى كاشف الجيزة والامير برد بك وعن يساره أبرك
رأس الجلبان والامير تمر نايب اسكندريه والامير دولة باى الكبير
كاشف الصعيد والامير فلج وقال الامير شاز بك ياأخوانى أظن
والله أعلم ان فى هذا اليوم يقع لنا مضايقة من قبل عدونا فان قلبي قد
جربته وقال العارفون من ثبت ثبت والشجاعة صبر ساعة فهم في
هذا الكلام الا وقد ظهر لهم من بعد جيش عظيم وصناجق أعلام فقال
لهم رأيتم ماقلت لكم ولكن تأهبوا ووقفوا مكانهم وأما السلطان سليم لما
عاينهم عرفهم فلما تقارب الجمعان حمل الامير شاز بك عليهم حملة واحدة
ودكس عليهم فلما عاينوا منه ذلك رموا عليه طلقا من البندق والمدافع حتي دوت
الدنيا ولا بقي أحد ينظر الى احد فهلك من هلك وهرب من هرب وثبت
من ثبته الله ولكن الامراء الذين تقدم ذكرهم لم يهلك منهم أحد
وقاتلوا قتال من آيس من الحياة فقاتل الامير شاز بك قتال الجبابرة
فما مضى من النهار قدر نصفه الا وقد تقهقرت الروم الى وراء ورأوا

من الامير شاز بك ما لا يروه من احد وقالوا ان هذا لا يطاق ولا قدرة لاحد على لقاه ومن له قدرة على حربه والله هذا هو الاسد ولا يجوز قتله فعند ذلك امر السلطان عسكره ان يتفرقوا عليه من كل جانب فصار كل من قرب منه هالك لوقته ولم يقدر احد منهم على ضربه لا بحربة ولا سيف فقتل منهم كذا كذا الفاً في يوم واحد وصار يصرخ عليهم ويقول لهم فاوا عن الحرب يا علوج وارجعوا بالمالق الي شربتكم ثم كلمهم بكلام فاحش ذكره الحاج فارس وهو غلامه الذي كان ورا ظهره بالجنيب وما بقيت الروم بين يديه الا كالغنم يسوقهم كيف شاء فعجزوا بجملتهم وآيسوا منه وما بقى احد منهم يقربه فان كل من قربه هالك وهو ينادى ويقول اين انت ياسليم يا من يريد ان يكون سيد الملوك والسلاطين ابرز ياجبان الى الميدان يامن يقاتل المسلمين بالنيران قال الراوي ثم التفت عن يساره فوجد روساً من الروم نحو الالفين قد احاطوا بالامير دولة باى كاشف الجيزة وهو بينهم كالاسد فمال عليهم ميلة منكرة فولوا من بين يديه هاربين فصار يوبخهم ويقول لهم فى سبيل الله انتم الوف ونحن ماتان ما لكم والحرب فقال بعضهم لبعض والله لو علم السلطان سليم ان قدامه شاز بك لرجع من حلب وما زال شاز بك يبري الرؤس الى ان انقطعت حدة الروم وقتل اكثرها فكان الامير شاز بك كلما سمع الجاويشية يحرضوا العسكر يميل عليهم حتى قطعهم وقتل خلقاً لا تدخل الحصر حتي صارت الرجال مطروحة ثم انهم ولوا هاربين واخلا من عسكرهم جانباً كبيراً واما باقي الامرا من الجراكسة فان كل امير منهم كسر الذى بين يديه لانهم

طول عمرهم ما قاسوا مثل هذا اليوم فكان السلطان سليم يتأوه ويقلق ويضجر ويقول ما كنت اقاسي من احد ما قاسيت هذا اليوم وكنت اقول انى بهذه العشرة آلاف فارس من خيار قومي ويتبعها عشرون الفاً فلقانى هذا الاعور ومعه اقل من خمساية يعنى عسكرى فقال له خير بك والله يامولانا السلطان وكذلك ما كنت اظن ان شاز بك بهذه الصدفة ولا كنا نعده من الفرسان ولكن ابرز انت بنفسك المعسكر وازجرهم فخرج السلطان سليم على عسكره وصاح في وجوه اكابرهم الحرب اين تذهبون والى اى ارض تهربون وصار يمدهم بالترقي ويقول لهم ما بقي الا هذا الاعور وخمساية ماية معه انزلوا عليهم بجمعكم فخرجوا من بين يديه وهم لا يدرون ما يصنعون وصاحوا على الطوايف المجتمعة وكانت الجراكسة ايقنوا بالظفر وما دروا ان فى ذلك الموت الاحمر وظنوا ان الروم فترت همتهم عن الحرب واذ اقدأقبلوا عليهم زحفاً مثل قطع الغمام فصاح عليهم الامير شاز بك الحملة ثم انه نطح الجيش بصدره كانه الليث الضرغام فرمته اول طلق والثانى والثالث بالبندق والزربطانات حتى صار البندق والاحجار نازل كالمطر ولولا ان الجراكسة قد التحموا فى الروم التحاماً زائداً حتى صار الجيش كالواحد فلم يصيب احداً من الروم شيء الا البعض وصار بينهم حملات وصار لهم رقصاً بالسيوف وكان لهم مشهد لم ير مثله وكان الامير شاز بك قاتل في هذا اليوم قتال الجبابرة كانه الليث الغضنفر. ان مال على جماعة طحنها او طايفة مزقها . فلم يكن الا شيء قليل حتي انطفت جمرة الروم وخمدة جمرة جموعهم والامير شاز بك قهرهم

وأفناهم بسيفه فرجعت المواكب بين يديه هاربين قالوا ان هذا البطل
ليس من البشر ولا يليق لاحد ان يقاتل هذا السبع الغضنفر فلله دره
بطل من الابطال حتى صار أكابر الروم يدعون له لما رأوا من شجاعته
وفروسيته لما بهر عقولهم وعلموا منهم انهم لا يقاومونهم في الحروب
وما عدتهم الا رمي البندق ثم ان الروم لما رأوا هذا البلاء تقهقروا
الى وراء حتي وصلوا الى النيل السعيد وقصدوا انفضاض الحرب فهم
في هذه الحالة واذا بغبار قد طلع سد الاقطار فوقفت الروم حتي ينظروا
ماالخبر وما كان وقوفهم الا لذلك فقط والا فقد عزموا على الهروب
ووقفت الجراكسة أيضاً واذا بخيل تركض فقال لهم الامير شاز بك لا يخلوا
أن يكون الجيش القادم السلطان طومان باي والا فهم عرب غزالة
جاؤا لنصرة عدوهم فما تم الامير شاز بك كلامه الا وهم عرب غزالة
يقدمهم سلام وأخوه حماد أولاد الخبير فلما رأوا الجراكسة بادروهم
بالسب والشتم فلما عاين منهم ذلك الامير شاز بك صعب عليه
واقتضى رأيه ان يوري لهم الهزيمة حتى يتبعوه فاذا تبعوه يبقوا بعيداً
عن الروم فيرد عليهم وربما ان الروم يرموا عليهم طلقاً فيكون
هلاكهم وكان كذلك فانهم لما أظهروا الهزيمة طمعوا فيهم
واتبعوهم فلما بعدوا من الروم رجع عليهم الامير شاز بك رجعة
الاسد وقاتلهم قتال من يئس من الحياة فما لبثوا بين يديه درجة
الا ولوا منهزمين فانه لم يبق أحد منهم يقربه الا أهلكهم فما ساعهم
الا الهروب وأما السلطان سليم فانه لما رأى العرب قد انهزمت على
الفور أمر الرماة ان ترمى فقالت لهم الاعيان وكيف ترموا على العرب

وقد بلوا انصرتنا فقال ارموا ودع كل من فرغ عمره يموت فرموا
عليهم طلقا فاصاب غالبهم فلما رأت العرب ما حل بهم من الروم اغتاظت
قلوبهم وقالوا انظروا هؤلاء العلوج نحن نقاتل عنهم وهم يرمون
علينا بالنار ولا يرحمونا هذا جزاء من يفعل المعروف مع غير أهله
ونادوا بعضهم من يرد السلامة يتبع الامير سلام واخاه حماد فخرج
سلام وتبعه العربان وما سلم منهم الا كل طويل العمر فما مضى غير
ساعة حتي انعزلت عرب غزاله الي قدر ميل ووقفوا كيف ينظروا
الامر بين الفريقين فلما عاين الامير شاز بك حسب الحساب وانه متي
رجع الي قتال الروم تتقفاه العرب وتضايقه ويعوقونه عن مراده
فنادى الامير كرت قانصوه ان يكون في ماية فارس تحت الصنجق
بمن معه فاينما وجدوا العرب حملوا عليهم في الماية والعرب ألوف
وقتل منهم نحو الالف واكثر فعمل الامير شاز بك رجع اليوم يريد
الحرب صاروا يتعجبون منه غاية العجب وقالوا لا شك ان هذا الرجل
مجنون او ان معه احداً من الجن يساعدوه علينا واما العاقل فلا
يوقع نفسه في هذا الهلاك ثم ان السلطان سليم امرهم بالرمي عليهم
بالبندق وغيره قال فلم يزل دما يفور ورؤس تطير وكان النهار قد ولى
وغابت الشمس فالح السلطان سليم في الحرب وامر اجناده ان
يضايقوهم وكان يريدوا اخذهم في ذلك الوقت لان الغالب منهم
قتل ومنهم من هرب وما بقي الا من الرؤس او بعض مماليك
فطمعت فيهم الروم غاية الطمع بذلت المجهود فلله در هذه الفرسان
القلايل كيف شارفوا الحرب بانفسهم فلما عاين السلطان سليم

الامر بخلاف ذلك ودخل الليل نادى في عسكره بالانفصال وصار
الامير شاز بك يشتمهم يقول لهم بلسان الترك اذهبوا الي شربتكم
ياعلوج الروم . يا كفرة . يافجرة فلم يرد له احداً جواباً . ولولا
ان الخيل عيت من تحتهم ما كان حل عنهم بقية ليلته ثم رجعوا ينظرون
لهم محلا ينزلون فيه فقال لهم سيدي يحيي ابن الامير يوبك نزل
على شاطيء النيل تجاه عدونا فقال الامير شاز بك هذا صواب لكن
عندي راى اصوب من هذا وهو ان نقربه بركة على الطريق ربما
ان السلطان طومان باي يرسل لنا احداً او يأتي بنفسه فلا ينظر
الينا ولا يعرفنا في اى جهة نزلنا فاستصوبوا رايه فما لبثوا غير
ساعة الا وقد اقبل عليه خمس فرسان من السلطان طومان باى
واجتمعوا بالامير شاز بك واخبروه بان السلطان نازل على دهشور
وهو مشغول الفكرة عليكم وما جاءه الخبر عنكم الا عند
الغروب فنهم ان يأتي اليكم فوافى النهار قد ولى وبلغه ايضاً ابن
عرب غزالة قد حاربوكم مساعدة لعدوكم فما همه ذلك وبقى متحيراً
فقال الامير شاز بك ليته جاء الينا كنا اخذناهم مواصلة عن
آخرهم ولو لا صح منه الراى كان قد جاءنا والسيف صالي ولكن
الله تعالى اعلم ان دولتنا قد ولت وما نقاتل الا عن اولادنا وحريمنا
ولله تعالى في خلقه تدبير ثم قال له القاصد ان السلطان امرني
ساعة وصولي اليك لا تتأخر عنه ساعة واحدة فتلحقه على ناحية وردان
فأمر الامير شاز بك عسكره بالرحيل فقال له بعض الامرا فلق العسكر يتبعونا
قال فهل رايت وسمعت ان الروم يقاتلون بالليل فان حكمهم حكم

الفراخ يبيتون من العصر فلما ساروا ومروا على الروم فقال لهم السلطان
سليم ربما جعلوها مكيدة لكم وفرح السلطان سليم بذلك فانه قاسي
من شاز بك مقاسات الموت وما صدق حتي رحل عنه فلا زال الامير
شاز بك سائراً الي ان وصل الورّاق وكان قد طلع النهار واذا بالسلطان
طومان باي نازل هناك فلما رأوه على بعد أمر السلطان طومان باي
جميع من كان معه من العسكر ان يذهبوا معه الى ملاقاة الامير
شاز بك فارس الزمان فلاقته الامراء أحسن ملتقى ودعوا له
وفرحوا بسلامته فلما قرب من السلطان أراد أن ينزل من على
فرسه فاقسم على السلطان طومان باى ان لا يترجل احد عن فرسه
فامتثلوا قوله وسلموا عليه وهم على ظهور خيولهم وسار السلطان
والامير شاز بك عن يمينه وقيت الرجبي عن يساره ومن وراءهم الامراء
فلما وصل السلطان طومان باي الى وطاقه ترجل عن جواده وكذلك
الامير شاز بك وبقية الامراء والاجناد وجلس السلطان على الارض من
غير كرسي وكذلك بقية الامراء على قدر مراتبهم فقال السلطان للامير شاز بك
أخبرنا عما وقع لك من الروم قال الامير شاز بك والله يامولانا السلطان
لنا معهم حرب يشيب الاطفال في المهود ويلين لعظمته الحجر الجلمود
وكنا ظافرين عليهم والغالبين لهم وقد كسرناهم حتي رميناهم في
البحر ولكن ما بلغنا من عرب غزالة فانهم عاقونا عن طلبنا
وصدونا عن مقصدنا ومنعونا عن غرضنا واني والله العظيم رب
زمزم والحطيم لو ثبت معي الاثقال كنا كسرناهم وكنا اخذناهم
مولهوطة وكانت ارتاحت قلوبنا ولكن كيف نعمل في هذه النار

فما يشعر الانسان الا وهو مضروب فما يعرف من ابن جاءت له وما قتل احد منا بالسيف الا بهذه البندقية ثم قال والله يامولانا السلطان لو صار رأيك وتبعتنا باليمين كنا كسرناهم ولكن الله اعلم ان دولتنا دعائمها قد مالت وولت ايامها فاذا ارای الرأي ننساه ولا نذكره حتى نموت ويمضي حكمه فقال له السلطان طومان باي دع عنك هذه الافكار ولا تشتغل بما فات واعمل الرأي بما هو آت فقال الامير قنبيب الرملي صدق السلطان فيما قاله واضربوا لكم رأياً فيما تفعلون فان العربان صارت علينا اعداء لنا وعوناً لعدونا لان مامنهم واحد الا وقتلنا قريبه اواباه او اخاه حين غصبناهم فهم الآن كل منهم يطالبنا بثاره وقد جاءهم سلطان جديد يعطيهم الامان ولا سيما هذان الكلبان الغزالى وخيربك وهما يراسلان للاعراب ويقولون هذا ملك جديد عادل مسلم بن مسلم الى سابع جد ويحب الخير والانصاف ويبغض الظلم والاعساف وبعد هذا مابقى لكم من الرأي الا ان ترسلوا قاصدا لعرب غزالة التي هى اشد القبائل علينا وتوعدوهم بكل خير عسي تطيعنا ويميلوا الينا وان أبوا فالاستعانة بالله خير لنا من كل احد فعند ذلك امر السلطان طومان باي بكتابة كتاب الى عرب غزالة فما افاد شيئا ورجع الرسول خائبا فقال الامير شازبك علمتوا صحة قولى فقالوا له جميع الامرا ان رأيك في جميع الامور لصواب من يوم الريدانية وانت تقول لاتدفنوا المدافع فقال لهم السلطان طومان باى الرأى اننا نتوكل على الله ﴿ والله يؤيد بنصره من يشاء ﴾ وكان طومان باى من اول سلطنته الى آخر عمره لم تجف اجفانه بالدموع الا قليلا ثم قال لهم ياقوم انا نقلنا عن هذه القرية والرأي اننا نرجع الى ضيعة امر دينار وامر

بالرحيل فلما وصلوا امر دينار تلقوهم اهلها أحسن ملتقا وباتوا تلك الليلة فما اصبح الصباح الا وقد قدم عليهم خيال من تلك البلاد وهو يصيح الخيل اخذتكم فما استتم كلامه حتي اظلم الجو من شدة الغبار وركبوا الخيل وخرجوا للحرب والتقوا من غير ترتيب فوقع بينهم من الحرب مايعجز عنه الوصف فلله دَرّ الامير قانصوه العادل والامير شازبك وما فعلوا في هذا اليوم مع هولاء الجموع واما الامير قيت الرحبي فانه تصادر مع الغزالي في حومة الميدان حتي تحير النظار فيما وقع بينهم من الحرب حتى تقابضا بالاطواق فلم يقدر الغزالي يتمتع الرحبي واذا بفارس قد اقبل وطعن الغزالي فوقع على الارض واذا بخيل طلعت من البر ملئت الوجود واذا بهم عرب غزالة فصادفوه فوقع على وجه الثري فنزل عليه النهابة فعروه مما كان عليه وقتلوه . هذا ما كان من الرحبي واما الغزالي فان مماليكه تسارعوا عليه لما رماه الامير شازبك حملوه الى وراحتي ادخلوه في الوطاق . ووجدوا جرحه سليما واما الامير شازبك فلا زال يقاتل قتال الجبابرة حتي كل من تحته الجواد وتضاعف على الجراكسة المدد والاعداد وفاض بحر الروم حتي ملاء السهل والوادي وقصرت الجراكسة واكثر القتل فيهم وزاد عليهم الجمع من العربان التي في تلك البلاد فلم يزالوا في الحرب الشديد اذ لاح لهم غبار حتى سد الاقطار فتنحي كل فريق عن الاخر حتى يروا ماتحت الغبار واذا بالخيل وفرسانها يصيحون بالقيس نحن فرسان غزالة اليوم تروا يابني جركس الموت الاحمر والمتكلم بهذا سلام وحماد اولاد الجبير وقصد سلام قانصوه كرت ووقع بينهما ماحير النظار وحملت وشالت غزالة على الجراكسة حملة منكرة وكذلك حملت فرسان الروم من الجانب

الآخر واخذوهم مواسطة فضايق الامير قانصوه كرت سلام حتى ارماه البحر ومابقي معه سوى عشرين نفراً مماليكه والذي مع سلام نحو الفا واكثر فلما وقع الامير قانصوه كرت في البحر فثقل على الفرس بلبس الحديد وكان الفرس كل من التعب فلم يجد منعة ان يعدي ذلك البر فغرق وفرسه وغالب مماليكه غرقوا واذا بغبرة طلعت من ارض وردان وهم يصيحون بالنصرة لآل عثمان فبقيت الجراكسة لا يعرفون الى من يقاتلون والى اين يذهبون ولكن صبروا وجالدوا وحاملوا حتي قال السلطان سليم والله لو علمت قوة هؤلاء القوم مادخلت ديارهم واخذ يدبر في الحيلة واعطى ابن الغوري صنجقا وامر ان ينادي بالجركس كل من دخل تحت صنجقنا كان آمنا على نفسه وماله وعياله فعل فلم يجبه احد لشدة ماهم فيه من الحرب واما الامير شازبك ومن معه من الاعيان الذين تقدم ذكرهم اتفقوا على ان يكونوا على قلب واحد لا يخرج منهم احد فلله درهم من فرسان يقاتلون الالوف ولا يعتنون بهم ولولا هذه النيران والا كانت الروم ماقدرت عليهم وهم في هذه الاحوال واستبشرت الجراكسة بالنصر واذاهم بغبار من جهة الميمنة فنظروا اليه واذا بصائح آخر غبار من جهة الميسرة ثم صائح آخر من خلف ظهورهم فتحيروا في انفسهم الى اين يذهبون (قال الروى) فنزل السلطان سليم على قرية وردان ونزل السلطان طومان باي على قرية اسفل منها بحيث ان كل عسكر ينظر الاخر وباتوا تلك الليلة في اسوء الاحوال من القتال ثم جلسوا بعد ما اكلوا الطعام الذي جاءهم من القرية واخذوا في ضرب الرأي فقال لهم السلطان طومان باي والله يا اخواني ماظن الا دولتنا قد مالت فاني ارى كل شيء

نعمله فيه الصلاح فما يكون الا بضده واري اعدائنا كلما لهم يزيدون والغالب على ظني زوال ملكنا والظفر لعدونا ولقد صدق القائل في هذين البيتين

ان اقبل الدهر فقم قائماً واقتبس من الثلج نارا
وان رقد الدهر فارقد له فما الحرب في العكس الا خسارا

ثم قال لهم ياقوم هذه الوقعة اضرت بنا وهدمت مقعدنا ولا بقي لنا الا حسن بن مرعي وابن عمه صقر شيوخ محارب واني قد وليتهم واطلقت حسن بن مرعي وكان الغوري خلد حبسه وأمر بالرحيل من وقته وكان نصف الليل فما زالوا سائرين حتي وصلوا مدينة سخا وكان حسن ابن مرعي وابن عمه صقر قاطنيين بها وعربهم منتشرين بها فلما رأوا خيل طومان باي قد اقبلت تبادرت اليه الفرسان وركب حسن بن مرعي حتى قارب السلطان طومان باي فترجل عن جواده هو واولاده وعشيرته ثم قدم على السلطان وقبل قدميه في الركاب وطلب من السلطان ان ينزله في دار الضيافة فقال له ما نحن بقصد الضيافة والعدو في أثرنا وقامت علينا العربان خصوصاً غزالة لاجزاهم الله خيرا وماجئت الا لننظر محلا نحتمي به ثم ندبر أمرنا فيه فقال له الامير حسن بن مرعي اذا كان الامر كذلك أعرف لكم محلا يقال له الغابة وهو وادي كبير وافر المياه اذا تحصن فيه القوم ووقف على بابه رجل واحد لا يمكن ان يدخل منه اثنان ولو كانوا الوفا فان هذا الوادي لا يدخله غير فارس واحد واما الارض ربوة سبخة كل من زل قدمه وداس عليها غاصت به وهذا الوادي هو قلعتنا اذا قصدنا أحد من اعدائنا وعلمنا

أنه لا قدرة لنا عليه فنذهب فى هذا الوادى ونأمن علي انفسنا فقال له حسن بن مرعى فمالكم يامولانا السلطان اعدل منه ولا احصن فقال له السلطان اركب وسر بنا على بركة الله تعالى لعل ان نحصن به وما يكون الا ما يريد ربنا فساروا من وقتهم حتي وصلوا الى فم الوادى فوقف حسن بن مرعى وقال يامولانا السلطان هذا باب الوادي فوقف السلطان وقد غطس قلبه ووقف مكانه وتحير فى أمره والتفت الى أمراء دولته وقال لهم اني رأيت مناماً فيه هلاكنا ولكن ما بقى لنا حيلة نحتال بها قاتلنا حتى كلت سيوفنا . وقد قامت الدنيا علينا فماذا عسى ان أصنع فان كان في عمرى مدة يعطونى الامان والا اموت على فرسي واما انتم ياغوات فقد حالتكم فليذهب كل احد الى حيث شاء فقد طال الوقوف فقال حسن بن مرعى اخاف عليكم العدو ادخلوا فلما دخل الامراء والاجناد مع طومان باى وقالوا له نحن معك لانفارقك حتى تذهب ارواحنا وضربوا للسلطان خيمة على تل عالي بجانب البحر المالح ونزلت بقيت الامراء فى خيامهم فلما هدت نفوسهم جاؤا للسلطان لضرب الرأي واما حسن بن مرعى أخذ اذنا من السلطان لرواح بلاده ويرسل لهم الاخبار ثم قال السلطان لامرائه هذا الوادي خير لنا من قلعتنا مالم يخنا حسن بن مرعي واما حسن بن مرعي فقد سألته امه عن السلطان طومان باى فقال لها قد ادخلته الغابة فقالت مامرادك فيه فقال لها أن دولة الجراكسة زالت وعدوهم ملك البلاد وولى وعزل وهؤلاء ما عاد لهم من الامر شئ ابداً الا ظهور خيلهم وقد احترت فى أمرى فان قاتلت معهم ليس لى قدرة

على ذلك وأن قاتلت معهم فقد وقعت في المهالك فقالت له امه وكانت من الصالحات يا ولدي فالايمان والعهود التي قد حلفتها انت وابن عمك له ماتقول فيها فقال ولهذا انا متحير في نفسي كيف اصنع فبينما هم في هذا الكلام مع والدته واذا بفرسان القبيلة قد جاءت مسرعة وهم ينادون اركب يا امير حسن فاننا ننظر عسكراً جراراً فركب حسن بن مرعي وسار حتي اجتمع باول الخيل القادمين واذا هو عسكر السلطان سليم في طلب طومان باي ورجع اخبر السلطان سليم انهم ساروا الى نحو البحيره والي الغربية فارسل وراهم خير بك والغزالي وآياس اغا وسألوا حسن بن مرعي عن الجراكسة فقال الذي يدلكم عليه ويسلمه لكم من غير حرب ماذا يكون عندكم فقالوا كلما يريد ثم ان الوزير خلع عليه واعطاه بلاده اقطاعا ورجع الى امه فاخبرها فتشوشت غاية التشويش وقالت انا لا اصنع طعاماً فيه غدر والصواب ياولدي ترسل للسلطان طومان باى بان يكون على أهبة ان شاء حارب وان شاء هرب وشاغل انت القوم بالغدا فوافقها على ذلك وخرج فجاء له الشيطان وقال له اين عقلك تقتدي بكلام النساء وتترك مايحصل لك من السلطان سليم من العز والجاه والفخر بين العربان واما السلطان طومان باي قال لأمرائه اخبركم بما رأيت في تلك الليلة رأيت ان قائلا يقول لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول لك ان دولتكم قد زالت وعمركم قد فرغ وانت جاري في الجنة بعد اربعة ايام ارجع عن القتال فلا فائدة فيه وانا عزمت على رمي سيفي في هذا البحر المالح وكل واحد منكم يذهب الي حيث شاء وهذا آخر اجتماعنا في الدنيا

والقيامة تجمعنا بين يدي احكم الحاكمين فهم في الكلام والحيل قد اقبلت عليهم من بعيد فقامت الامراء كلهم والامير شاز بك واتباعه وحطموا على عدوهم بقلوب كالحديد ولكن العدو كثير وهم طائفة قليلة فلما رآهم الغزالي حاطمين عليهم قال افسحوا لهم طريقاً اريحونا من شرهم حيث أن طومان باي ايس منهم واما قانصوه العادلي ذهب الى اصفهان واما شاز بك فانه كان بينه وبين الامير احمد بن بقر صحبة اكيدة وكان اذا دخل مصر لا ينزل الا في بيت شاز بك الا انه خائن غير محمود في السيرة فدخل عليه في بيت غمر فرحب به وانزله في بيته واكرمه غاية الاكرام ثم حكي للبقري جميع ماجري واما الامير شاز بك قال قد تم الامر وراحت دولتنا وما بقي الا التدبير في المسير من هذه البلاد فقال البقرى من اني نال ما يتبغي اصبر حتى ننظر الامر فقال له الامير شاز بك أين عقلك فبعد ان السلطان طومان باي يسلم نفسه غداً تأتيك الاخبار انه قد صلب على باب زويلة أو علقت رأسه عليه قال الراوي هذا ما جرى لشاز بك والسلطان طومان باي فانه بقي فريداً وحيداً ورمي جميع عدته وسلاحه . ولباسه . في البحر حتي المصحف البولاد والقنطارية وغيرها فعند ذلك حملت عليه العساكر يقدمهم اغات الانكشارية وخير بك والغزالي وحسن بن مرعي فاقتضى رأيهم يمسكوه حياً ويأتون به الى السلطان سليم يفعل به ما يختار ثم أمر العسكر بغمد سيوفهم ثم حلقوا عليه من كل جانب فصار بينهم كالسبع الذي وقع في الشرك فعند ذلك نزل آياس اغا وخير بك والغزالى وجاؤا اليه فقال آياس أغا

انما اجعل يدك اليمني فوق اليسرى يا مولانا ولا تؤاخذني في ذلك ففعل وربطوهما من قدام حكم الاعيان وقدموا له بغلة واركبوه عليها وقيده من تحت بطنها واحاطت به الانكشارية وبقية العسكر وجدوا في المسير فأخذ يتكلم مع الانكشارية فسألهم عن حالهم وقدرجوامكهم فقالوا لكل واحد منا ستة عثامنة فقال لهم وانتم جئتم من بلادكم الى هنا لاجل ذلك بارك الله فيكم ولهذا غلبنا سلطانكم لطاعتكم له على هذا القدر اليسير والله ان جماكيكم لا تكفي ان تكون جامكية سائس من سياسنا فوالله ثم والله لو تكونوا عسكري لجعلت لكل واحد منكم ديناراً في كل يوم فركن له بعضهم وامتنع الآخر حتى دخلوا وطاق السلطان سليم وقال الآن ملكت مصر وما علم السلطان سليم انه بقي من عمره ثلاث سنوات بعد ان رجع بلاده (قف على ان السلطان سليم مات بفرخ جمر) ضربه فرخ جمر فعذبه المدة المذكورة حتى بانت مصاليق بطنه من ظهره وكانوا يضعون عليها الدجاجة فتنهرى من حرارته فلما وصلوا به الى خيمة السلطان امر ان يحلوا كتافه ويغلوا يديه ويتأدبوا في حقه فلما اصبح الله بالصباح أمر السلطان بعمل ديوان واظهر ما عنده من الزينه واحضر جميع العساكر بترتيب عجيب ثم امر باحضار السلطان طومان باي وحسن بن مرعى ودخل بين العسكر ورأى نظام العثامنة في احسن ما يكون فلما دخلوا به على السلطان سليم سلم عليه سلام الملوك فرد عليه السلطان سليم كما يجبوا ولم ينقص من مقامه شيئاً ثم أمره بالجلوس فجلس وهو في غاية الندم على ما فعل وقال انا كنت طائع وارض الله واسعة ففعنا ثم التفت اليه وقال ياطومان باي كم نهيناك عن القتال وسفك الدماء أو ما أرسلت اليك من الشام أن تجعل السكة

والخطبة باسمي انت مقيم على ملك مصر وأنا ظهرك ومعينك على سائر الملوك فابيت ذلك وقتلت رسلي والرسول لا يقتل وارسلت اليك قضاة بلدك فابيت الصلح وقتلت القضاة وتعديت سيم الملوك الكرام بقتل الرسل اولا وثانيا وعاتبه عتابا كثيراً فقال له السلطان طومان باى والله لم يكن شيء مما جرى بخاطري ولا بامري واني والله لما ارسلت لي من الشام اكرمت الرسل وأمرت بنزولهم في دار الضيافة وفي نيتي أفعل ماجاءوا به وأرد الجواب كما أمرتني فلقيهم الامير علان سائرين الي بيت الضيافة فقتلهم فلما بلغني ذلك عسر على كثيراً وكذلك الرسل الذى أرسلتهم الذى جري فيهم بغير رضائي وانما جرت المقادير من رب قدير حتى تجرى الامور على ما كتب في الازل بأن دولتنا زالت وأدبرت ودولتكم جاءت وأقبلت وهذا أمر دارت به الافلاك وسارت به الكواكب وما أراد الله فلا مرادّ له ولا يغلب الله غالب ولولا ذلك ماقدرت أنت علينا ولا خلافك على أخذ بلادنا وان ذلك لو كان بالقوة والشجاعة ما كنت أقوي ولا أشجع منا وها أنت رأيت بعينك كيف فعلت وكيف قاتلت عسكرك وكيف كسرتهم كذا كذا مرة ولم يقدر أحد منهم يقربني لا بسيف ولا عمود وأما قولك انك تريد أن تجعل السكة والخطبة باسمك وأنت رأس الملوك فأنا والله ماأخذت السلطنة رغبة فيها وانما عسكرى وقومي اختاروني ورغبوا في ان أكون سلطاناً عليهم لما علموا انى أهل لذلك فلما اني تقلدت ذلك وجب علي ان اذبّ عنهم وأما أنت فانما قيامك من نفسك ليس الا نحن مسلمون كيف تستحل قتل المسلمين وترميهم بالنار والمدافع

كيف بك اذ وقفت بين يدى رب العالمين فما جوابك وأنا وانت من جملة عبيده فتعجب السلطان سليم من فصاحته وبلاغته فقال له السلطان سليم اللهم انى قمت فى حفظ نفسي كما قلت فأنت وقومك كم قتلت من قومي مسلماً وابن مسلم الوفاء ؤلفة فما جوابك عند الله فأجابه فوراً وقال له ان الله سبحانه وتعالى أجازلى ذلك حيث قال (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدي عليكم) وأنتم اعتديتم علينا ثم ان الغورى وقع بينك وبينه التنافس ودخل الشيطان بينكم ورمت الاعادى بينكم وختم الله له بالشهادة وستقف انت وهو بين يدى رب العالمين واحكم الحاكمين وأما انا فليس بيني وبينك عداوة ولا لاحد من عسكرك ولا غيره فقال له السلطان سليم والله ماكان قصدي اذيتك ونويت الرجوع من حلب ولو اطعتني من الاول وجعلت السكة والخطبة باسمى لاجبتك ولادست بلادك فأجابه الانفس التى تربت في العز لاتقبل الذل هل لو أرسلت لك وأمرتك ان تكون تحت أمري كنت ترضي بذلك ولانت أفرس مني ولا أشجع ولكن ماضرك الا شياطينك خير بك والغزالى فانه لوكان فيهما خيرا كان لنا فقال السلطان سليم للحاضرين والله ان مثل هذا لا يقتل ولكن أخروه فى الترسيم حتي ننظر فى أمره فأخذه آياس باشا وذهب به الى خيمته واخذ السلطان يتكلم مع الحاضرين واذا بالبشارة قد جاءت من أحمد البقرى انه قبض على الامير شازبك الاحول وانكم ترسلوا من يأخذه فازداد فرح السلطان سليم بذلك فقال من يذهب ويأتى به فقال الغزالى علىّ ذلك وأخذ معه مايه انسان نقاوة فما تم النهار الا وهو في منية غمر فوجد واابن بقر فى الانتظار فقال اسرع لى بشازبك ولاتحدثني

يمسكه الآن ونحن سائرون فان اصل مسكه جاءه ابن بقر وعونا ثم في بيته
وضربه بالعكاز على رأسه بطحه وكتفه جماعته ولما احضروه وهو مقيد
مزند ووقع بصره على الغزالى والبقرى فقال الله يجازى الخائن
فاستجاب الله دعاء الامير شازبك فى الامير أحمد بن بقر حتى لحقت
دعوته ذرية البقري فمنهم من يقتل فى بيته ومنهم من يموت قهرا
وما افاده من مقابلة السلطان سليم وغدره لشازبك الآن سالخ الامير
عمر بيك كاشف الشرقيتين لذرية البقري نجم واقاربه ودخلوا بهم مصر
برايات مع كاشف آل عثمان وعرضهم على الوزير عثمان سنة واحد
وتسعين والف واما ذرية حسن بن مرعى الغادر للسلطان طومان
باى فقطع الله دابرهم فان حسن بن مرعي اشراق السلطان طومان
باى وغدره وأحمد بن بقر اشراق الامير شازبك وخانه ولا يحيق المكر
السيء الا باهله وورد ثلاث من كنا فيه كنا عليه البغي والمكر قال
الله تعالي انما بغيكم على أنفسكم والنكث قال الله تعالى فمن نكث
فانما ينكث على نفسه ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولما دعى
عليه شازبك فلم يرد له جواباً واركبوه على بغل وقيدوه من تحت
بطنه وطاروا به كما يطير الغراب بالبيضة فلما نظره السلطان سليم
وتأمله فرآه من أكمل الرجال له هيبة ظاهرة وشجاعة ووقار
وضخامة وجثة فأراد السلطان سليم ان يختبر عقله فقال له ياشازبك
كيف رأيت الدنيا قال كلا شيء فقال حيث كانت كلا شيء تحاربنا
وتقاتلنا عليها فقال مافاتلت ولا نافست احدا فيها وانما قاتلت عن
حالى . وعرضي وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اجازاني بذلك

كما قال الله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقال تعالى من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله وعياله كان شهيدا . فنحن ما قتلناكم الا باذن من الله ورسوله وأنت بأى رأي استحليت دماءنا وأموالنا قال له السلطان سليم قد استفتينا عليكم اولا وثانياً فأجازوا الى العلماء ذلك فقد بلغنى انكم تقتلون ملوككم وتأخذون الاموال بالسيف ولا تتوقون الحدود الشرعية فقال له شازبك اما قتلنا الملوك فكلام باطل فقد اقام السلطان المرحوم الاشرف نحو ثلاثين سنة ملكا بمصر الى ان مات رحمة الله عليه واما ولده فعدى الحدود ولم يتوقف على حد الشرع ولهذا قتلناه ولا نحن نأخذون من الموت قال تعالى انك ميت وانهم ميتون

ثم يجزى المحسنين باحسانهم . ويقابل المعتدين ببطشه وانتقامه ولا عدوان الا على الظالمين وسوف ينتقم من الباغين (قال الراوى) لما سمع منه السلطان هذا الكلام فاشار لهم فاخرجوه في الترسيم فاقعدوه ثم ان السلطان نادى بزينة مصر فزينوها جميعاً فلما كان فى ليلة الواحد والعشرين من رجب سنة تاريخه كان السلطان طومان باى صلى صلاة العشاء فجلس وهو زائد الفكر كثير الضجر متتابع العبرات فاخذته سنة من النوم وهو جالس فاذا هو بشخص قدامه وقال له ياطومان باى قدم نفسك للرحيل فقد مضي الكثير والقليل وجاء الوقت المعلوم فانتبه من نومك فقد وصل فراقك من أهلك وقومك فانتبه فزعاً مرعوباً وتعوذ من الشيطان وقرأ شيئا من القرآن فنزل عليه من النوم شيء ثقيل

فاضطجع كانه ميت فرأى جسده يتصبب عرقاً وهو الحاكى بذلك عن نفسه للقاضي اصيل الدين الطويل فانه لم يأته أحدٌ من اهل مصر غيرُه واوصاه ان يغسله ويكفنه بيدهُ وقد فعل ذلك كما اوصاه فعند الصباح واذا بالجاويشية قالوا له قم كلم السلطان فقام معهم وساروا به الى قرب خيمة السلطان سليم واوقفوهُ واذا بمالى اغا خرج من عند السلطان وقد برز أمر الخنكار ان يسيروا به الى باب زويلة ويصلبوهُ فاركبوهُ بغلةً وقيدوه من تحت بطنها ودارت حواليه الانكشاريه والعساكر وخرجوا به من وطاق السلطان سليم الي انبابة ونزلوا في المراكب وعدوا به الى بولاق وادخلوه من باب القنطرة الى مرجوش الى بين القصرين وقد انقلبت الدنيا بالضجيج والبكاء والصياح وكان ذلك على أهل المملكة من أشئم الايام فلما وصلوا به الى باب زويلة وجدوا الحبل مرخى فأسرعوا به ونزلوه من على البغل وصلبوهُ من غير مهلة ثم بعد ذلك انزلوه وساروا به في نعش الى قبة السلطان الغورى فغسله القاضي اصيل الدين الطويل ودفنوه فى فسقية في القبة المذكورة وارسل له السلطان سليم ثلاثة اكياس من الفضة فرموها عليه ثم ان السلطان سليم في الساعة التى صلب فيها السلطان طومان باى قطع فيها رأس الامير شازبك وجاؤا به الى المدرسة البيبرسية وغسلوه وصلوا عليه ودفنوه فى مسجد من داخل الخوخة التي عند الفرن بالقرب من المدرسة وكان هذا مدة الجراكسة وهو سنة اثنين وعشرين وتسعماية وكان مراد السلطان سليم لا يقتل طومان باى وكان مراده يأخذه معه الى بلاد الرُّوم لولا الغزالى وخير بك اغرياه على قتله ومن الغريب ان خير بك بنى له قبة فى تربة مليحة فى باب الوزير تمرُّ الناس عليها للقلعة

وتمرء من عليها الباشوات والصناجق والاغوات وغيرهم ولا يقرون له فاتحة ولا يترحم عليه احد منهم كما سيأتى في ترجمته وصدّ الله عنه قاوب الخلق والعجب انه كان السبب فى ملك بنى عثمان في مصر والشام وكلهم يكرهونه ولا يذكرونه بخير لانه كان السبب في هلاك مائة ألوف من العتامنة والجراكسة وسائر اصناف العالم من العرب والعجم وحصروا من قتل فيها تقريباً فوجدوه خمسة عشر الف كرةً (قف على من قتل فى حرب السلطان سليم مع الجراكسة) . فسبحان من يفصل بين هؤلاء يوم القيامة ثم ان السطان سليم اشتهي خاطره ان يذهب الى الاسكندرية ويتفرج عليها فنزل في مراكب ومعه خمسمائة نفس فرأي مدينة فوة ومطوبس وسنديون وغيرها وطلع رشيد وتعجب من كثرة الارزاق فى تلك الاقطار وقال ان هذا الاقليم لا نظير له في الدنيا ثم طلع الى بر اسكندرية ومكث فيها ثلاثة ايام ثم رجع الى المقياس ثم لما توجه الي الديار الرومية ابقي عند خير بك خمسة آلاف انكشاري . حكاية حدثني بعض الافاضل ان السلطان سليم لما خرج لقتال اسماعيل شاه سنة عشرين وتسعمايه وملك فى هذه السفرة العجم وحلب والشام ومصر جمعاً كابر العلماء وقال لهم كان أبائي واجدادى اذا سافروا لقتال يتحفوهم علماء زمانهم بشيء من القرآن يتفاءلون به وانتم انظروا لى فالاً يطمئن به قلبي . فسكتوا جميعاً فقام واحد منهم قال يا مولانا السلطان تملك فى هذه السفرة ملكاً عظيماً فان الله تعالى يقول (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون) فان لفظ ذكر من غير أداة التعريف تسعماية وعشرين . فتأمل ما أحسن هذا الاستنباط

العجيب وما فيه من المدحة لبني عثمان ولما اراد أن يتوجه السلطان سليم الى الروم ووضع رجله فى الركاب فشاوره خير بك على ابناء الجراكسة يريدون الدخول مع جملة الاجناد فاجازه بذلك (قف على اوقاف الجراكسة) وشاوره على اوقاف الجراكسة وهى نحو عشرة قراريط من اراضى مصر فاجازه بإبقائها على ما كانت عليه فتشوس وزيره وقال فني مالنا وعساكرنا ونسلمهم بلدهم وندخلهم فى عسكرنا ونبقى لهم اوقافهم يستعينون علينا بذلك فقال السلطان أين الجلاّد فضرب عنق الوزير المذكور ووضع رجله الثانية في الركاب فما احد بعد ذلك يراجعه جزاه الله عن ذلك خيراً ذكر القطبي في اعلامه قال رأيت جماعة من مصاحبي السلطان سليم وسمعت منهم حسن مصاحبته ولطف معاشرته وشدة تيقظه ودقة فهمه مع كثرة مطالعته للتواريخ ومن نظمه

الملك لله من يظفر بنيل منى ... فليتقينه ويلزم نفسه الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر انملة ... فوق التراب لكان الامر مشتركا

نقل الاسحاقي في تاريخه أنه سمع بعض الافاضل يعزوا هذه الابيات السلطان سليم رحمه الله تعالي (شعر)

يا بني جركس هنيئوا ... ملك الامر سليم
ملككم كان معارا ... والعوارى لا تدوم
ظلمكم اوجب هذا ... انه فعل ذميم
قد ملكتم فقهرتم ... ولهذا لم تقيموا
ولهذا قد ذهبتم ... ما لكم خل حميم

قد حاما الله حمانا　　انه البر الرحيم
عليك فاق كسرى　　اذ له الملك العظيم
انه في الذكر يتلى　　فافهمه يا حكيم

فيه تلميح لقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) اشارة الي الحكاية السابقه · فائدة) (قف على مدة الجراكسة وعدة ملوكهم) مدة تصرف الجراكسة في مصر مائة سنة واحدي وعشرون سنة وملوك الجراكسة اثنان وعشرون ملكا اولهم برقوق وآخرهم طومان باى وكانت وفاة السلطان سليم سنة ست وعشرين وتسعماية ومدة سلطنته تسع سنين ولم تطل مدته لانه كان سفاكا للدماء ولما أزال الجراكسة فوضت اليه السلطنة وانعقدت له البيعة لانه امام قرشي باجماع من أهل الحل والعقد من الامراء وغيرهم على يد أمير المؤمنين هارون ابن أمير المؤمنين المتوكل محمد ابى العز عبد العزيز · بن يعقوب أبى عبد الله محمد · بن المعتضد بالله أبى الفتح أبى بكر · بن ابى عبد الله المستكفى بالله ابى الربيع سليمان · بن الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن أبي على الحسن · بن على بن أبى بكر بن المسترشد بالله أبي منصور الفضل · بن المستظهر بالله · أبى العباس أحمد بن المقتدي بامر الله أبى القاسم عبد الله بن محمد بن القائم بامر الله · أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله · أبي العباس أحمد بن اسحاق ابن المقتدر ابي الفضل جعفر بن بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن ولي العهد الموفق طلحة · بن المتوكل على الله ابى الفضل جعفر · بن المعتصم بالله ابى اسحاق محمد بن الرشيد هارون · بن المهدى ابى

عبد الله محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن حبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عم سيد المرسلين العباس بن عبد المطلب بن هاشم شعر

نسب عليه كان من شمس الضحى نوراً ومن فلق الصباح عمودا

﴿ ثم تولي سليمان بن السلطان سليم خان ﴾

جلس على تخت الملك وسنه ستة وعشرون سنة وهو عقد نظام آل عثمان وقطب دائرتهم تفرد عن سائر الملوك بالعدالة التامة والدين التام له خيرات كثيرة من جملتها السحابة الكبري بطريق الحج الشريف ووقفه على فقراء الحجاز بلاداً كثيرة بالقطر المصري وغيره وغزى ثلاثة عشر غزوة أولها غزوة انكروس وآخرها غزوة سكتوار وتوفى فيها وعند وفاته حزنت عليه عموم رجال الدولة رحمه الله رحمة واسعة وتولى بعده ابنه

﴿ السلطان سليم الثاني ﴾

سنة ٩٧٤ وأقام ثمان سنوات وشهراً وكان مهاباً حليماً افتتح فى أيامه قبرص بغزوة عظيمة وافتتح تونس الغرب وجدد عمارة المسجد الحرام وأمر بازدياد مرتبه وغادرته المنية رحمه الله وتولى بعده أخيه

﴿ السلطان مراد ﴾

في ١٠ رمضان سنة ٩٨٢ ﻫ وكان سنه ثلاثون سنة وكان ميالا لفعل الخير وهو الذى أنشأ تكية بالمدينة المنورة وأوقف لها بلاداً كثيرة وانتقل الى دار البقاء فى سنة ١٠٠٣ ﻫ مدة سلطنته عشرون سنة وتسعة أشهر رحمه الله ثم جلس بعده

﴿ السلطان محمد بن السلطان مراد ﴾

سنة ١٠٠٣ ﻫ فى يوم الجمعه ١٧ جماد آخر وتوجه بنفسه لغزوة

المجر وحصل هناك قتال وجدال يطول شرحه الى أن عاد منصوراً
مؤيداً وكان محب للخير ثم أحس بمرض فاحضر العلماء والكبراء
وتنازل عن الملك بعده لولده أحمد ومات في الحال رحمه الله وتولي

(السلطان أحمد بن السلطان محمد)

وسنه ثمانية عشر سنة تولي سنة ١٠١٢ هـ وتوفي سنة ١٠٢٦ هـ
وكان من أجل الملوك حزماً وعزماً رحمه الله وتولي بعده اخوه

(السلطان مصطفى خان)

في يوم ١٣ القعده سنة ٢٦ ١ فاقام على الملك ثلاث اشهر وعشرة
ايام وخلع بسبب الفتن وتولي بعده

(السلطان عثمان بن السلطان احمد خان)

في سنه ١٠٢٦ وهو مراهق بعد خلع عمه السلطان مصطفي
فاسر بوضع عمه في مكان حسن واكرم وفادته وفي ايامه سنة
٢٧ ١ ظهر في السماء عمود ابيض ثم ظهر بعد العمود نجم بذنب
ولذلك اوجف المرجفون وزعموا حصول امور مهولة ولكن لم يحصل
وتوفي يوم الخميس ٧ رجب سنة ١٠٣١ مقتولا من أرباب الدولة الخونة
واعيد بعده السلطان مصطفي مرة ثانية ثم خلع في سنة ١٠٣٢ هـ وتولي

(السلطان مراد بن السلطان أحمد)

جلس بعد خلع عمه فأقام منار الاسلام واطمأنت الخواطر وكان شجاعا
مدبرا حكيما قاتل كثيرا الى أن توفى في سنة ١٠٤٩ هـ وتولي بعده

(السلطان ابراهيم خان بن السلطان أحمد)

سنة ١٠٤٩ وبقي ملكا الى سنة ١٠٥٨ وختم الله له بالشهادة وكان مهابا

جميلا حليما ولا يستغرب الحلم على ابراهيم فانه أب رحيم وتولى بعده
مولانا سلطان العصر والاوان السلطان بن السلطان

(السلطان محمد بن ابراهيم خان)

جلس على تخت الملك شاباً قوياً (وآتيناه الحكم صبيا) فى سنة ١٠٥٨ هـ
ومن الله على هذا القرن السعيد القران باشراق طلعته البهية وأدامه منصوراً
محمياً معززاً محفوظاً مرعياً ياله من ملك شجاع فتح جلالته كريد اذ
جرد عليها صوارم التجريد وكذلك قنيصة وماوالاها وحصون المركشين
ومداين الجاحدين جعل أسفلها أعلاها فأنا أسئل الله مبتهلا اليه ماداً
أيدى له أن يتبع أيامه باخواتها الباقيات الصالحات والزيادات الباهرات
ليكون كل دهر يستقبله وأمل يستأنفه موفيا عن المتقدم له قاصرا عن
المتأخر عنه ويعطيه من العمر طوله وابعده ومن العيش أعذبه وأرغده
آمين بجاه سيد المرسلين آمين

وحيث انتهى بنا الامر من ابتداء ظهور ملوك آل عثمان الى سلطان هذا
العصر والاوان مولانا السلطان محمد بن السلطان ابراهيم خان أبقى الله
سلطنتهم وخلد مملكتهم مادام الزمان . وعلمت على ماذكره علماء التاريخ
الثقاة منهم العلامة المؤرخ الشهير أبو السرور البكرى والثقة بن أياس
صرحا بان بني عثمان أصلهم من عثمان بن عفان أمير المؤمنين رضي الله
عنه ولما كنا في سفر الحج صحبة قطب العارفين استاذنا الشيخ
محمد زين العابدين الصديقي رحمه الله سنة ١٠٧١ هو ونحن بالصفراء والجديدة
قال الحافظ امام الحرمين شيخنا الشيخ محمد البابلى رحمه الله هذه بلد
ملوك بنى عثمان . ونقل الحنبلى فى تاريخه أن بنى عثمان من صميم عرب

الحجاز فهم من خاص قريش . وهم أصحاب الامامة الكبرى . ولهم السيادة العظمي . وبهم تقام الحجة وتنقطع المحجة وباختصاصهم بالامامة قام البرهان ونطق القرآن . قال الله تعالي مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) قالت طائفة من أهل السلف المراد بهذا الذكر الذي خص به هو وقومه الامامة الكبرى . التي هي سياسة العالم وكان السلطان سليم الفاتح له في التاريخ اطلاع واسع وأشار في نظمه تلميحا الى قوله تعالي وانه لذكر لك ولقومك بقوله في قصيدة ذكر الاسحاقي في تاريخه مطلعها

يابني جركس هنيئو ... ملك الامر سليم
أنه في الذكر يتلى ... فافهمنه يا فهيم

ويشير الي قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) قالوا ولايجوز أن يكون المراد بالذكر القرآن لانه ذكر له ولقومه ولكل من بلغ من أهل الارض . قالوا ويرشدك الى ذلك قوله تعالي(وسوف تسئلون) وهو سؤال خاص عن أمر خاص وهو الرعاية للامة والذكر ينطلق في اللغة على الشرف والامامة شرف الدنيا والآخرة لمن أخذها بحقها . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قدموا قريشاً ولا تقدموها وقال الناس تبع لقريش في هذا الشان . وقال لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي في الناس اثنان . وهذا أخبر بمعنى الامر وبني عثمان من قريش كما قدمنا لان أصلهم الشريف من عثمان بن عفان رضي الله عنه شعر

فاكرم بفرع هؤلاء اصوله ... واعظم ببيت هولاء قواعده

رضي الله عنهم وأدامهم حصناً للملة والدين آمين ألف في سنة ١٠٩٢

(ملحق)

لما ان كان هذا الدر قاصراً لحد ذاك التاريخ رأينا نحن العاثرين عليه والطابع اليه أن نلحقه بصنف حاوياً من تاريخه للآن كما أسلفنا في المقدمة فقلنا وعلى الله توكلنا بالنسبة لاختلال بعض الامور الدولية قد عزل السلطان محمد بن السلطان ابراهيم وكان عزله في ٢ محرم الحرام سنة ١٠٩٩ الموافق ٨ نوفمبر سنة ١٦٨٧ وقد لبث على تخت الملك اربعين سنة وخمسة اشهر ثم توفي لرحمة الله في اليوم الثامن من شهر ربيع الاخر سنة ١١٠٤ ﻫ وكان عمره اثنين وخمسين سنة ودفن بضريح والدته المرحومه ترخان سلطان وتولي بعده اخاه

(السلطان سليمان خان الثاني بن ابراهيم الاول)

ولد في اليوم الخامس عشر من شهر محرم الحرام سنة ١٠٥٢ ﻫ وتولي الملك بعد عزل أخيه السلطان محمد مكث سلطاناً مدة ثلاث سنوات قاسي في خلالها صعوبات جمه ورأى مصائب مدلهمه من حيث عصيان الانكشاريه ومخالفة بعض الوزراء والعساكر حيث حوصر الصدر الاعظم سيواس باشا وغيره الي أن عاجلته المنيه في يوم ٢٢ رمضان سنة ١١٠٢ ﻫ وتوفي عن غير عقب وكان عمره خمسون سنة وتولي بعده

(السلطان الغازي أحمد خان الثاني)

ولد في اليوم السادس من شهر ذي الحجه سنة ١٠٥٢ ﻫ ولكن المنية عاجلته فقصفت عوده الرطيب في يوم ٢٢ جماد الثاني سنة ١١٠٦ ﻫ

ودفن بضريح المغفور له جده سليمان الاول وتولى بعده

﴿ السلطان الغازي مصطفى خان ﴾

ابن السلطان محمد المولود في ٨ القعده سنة ١٠٧٤ وكان مشهوراً بالشجاعة وسمو المدارك ولكن لحدوث بعض الفتن عزل في ٢ ربيع الآخر سنة ١١١٥ ه ولبث معزولا الى أن توفي في ٢٢ شعبان من السنة المذكورة رحمه الله وتولى أخاه

﴿ السلطان الغازي أحمد خان ﴾

ابن السلطان محمد خان الرابع المولود في ٢ رمضان سنة ١٠٨٣ هجريه ومكث على تخت الملك سبعة وعشرون سنة واحدى عشر شهراً وبالنسبة لوداعة أخلاقه تساهلت في الاعمال العسكريه فتنازل عن الملك من نفسه وبقي معزولا الى أن انتقل الى رحمه الله سنة ١٢٤٩ هجريه وكان تولى

(السلطان الغازي محمود خان الاول)

ابن السلطان مصطفى الثاني المولود في ٤ محرم سنة ١١٠٨ ه وكان حليماً تقياً نقياً حدث محاربات كثيرة في أيامه بين الدولة العلية والروسيا وفرنسا ومكث على تخت الملك خمسة وعشرون سنة وانتقل لرحمة ربه في يوم الجمعة ٢٧ صفر سنة ١١٦٨ ه وقد حزن عليه عموم العثمانيين لعدله ومساواته وتولى بعده

(السلطان عثمان خان الثالث)

المولود في سنة ١١١٠ ه حيث قلد السيف الشريف في جامع أبي أيوب الانصاري حسب العادة وقتها وكان عادلا ولكن عاجلته المنون

فتوفي في ١٦ صفر سنة ١١٦٧ وخلفه

(السلطان الغازي مصطفى خان الثالث)

ابن السلطان أحمد الثالث المولود في سنة ١١٢٩ هـ وكان ميالا الاصلاح محباً للتقدم والارتقى افتتح حصوناً عديدة وحدث في مدته حروب كثيرة لبث على تخت الملك ستة عشر سنة وثمانية شهور ثم انتقل من الدار الفانية الى الدار الباقية في اليوم الثامن من شهر ذي القعدة سنة ١١٧٨ وتولى بعده أخوه

(السلطان الغازي عبد الحميد خان الاول)

ابن السلطان أحمد الثالث المولود في سنة ١١٢٧ هـ وقد كان رجلاً شجاعاً ذا حلم وتقى مكث على تخت السلطنة خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وتوفي لرحمة الله في ١٢ رجب سنة ١٢٠٣ هـ بالغاً من العمر ٦٦ سنة وتولى بعده

(السلطان الغازي سليم الثالث)

ابن السلطان مصطفى الثالث المولود في سنة ١١٧٥ وكان جو السياسية مكفهراً ورحى الحرب دائرة بين النمساوية والروسية فنظم الجيش وأخذ في تحسين العدد وازدياد العدد ولكن دارت بينهم الفتن والدسائس حتى أفتي بعزله في ٢١ ربيع الآخر سنة ١٢٢٢ هـ ولبث معزولا الى أن توفي في ٤ جماد الاول سنة ١٢٢٣ هـ وعمره ٤٨ سنة وأقيم بعده

(السلطان الغازي مصطفى خان الرابع)

ابن السلطان عبد الحميد الاول المولود في سنة ١١٩٣ هـ ومكث على تخت الملك ثلاثة عشر شهراً حدث فيهما اختلال كثير حتى

أفضي الى عزله وحجزه بالسراى فعزل وأقيم بعده

(السلطان الغازي محمد خان الثاني)

ابن السلطان عبد الحميد الاول المولود فى ١٣ رمضان سنة ١١٩٩ ه وكان سلطاناً مدبراً سياسياً حليماً عادلا تقياً نقياً ورعاً شجاعاً وقعت مدته حروب شديدة فمحى العصاة بسيفه وأقام العدل بحزمه وعزمه اذ كانت قائمة الحروب التى شابت منها ولدان لم تخلق ثم في غضون ذلك أتته المنية فجأة فتوفى الي رحمة الله وسكن فردوس جنانه في اليوم التاسع عشر من شهر ربيع الثانى سنة ١٢٥٥ ه بالغاً من العمر خمسا وخمسين سنة ومكث على تخت الملك احدى وثلاثين سنةوعشرة أشهروتولي بعده نجله

(السلطان الغازى عبد المجيد خان)

المولود فى ١٤ شعبان سنة ١٢٢٧ ه وكان اذ ذاك سنه سبعة عشر عاماً وكانت الحكومة وقت ائذ في قلق واضطراب حيث وقتها فر أحمد باشا القبودان العام للدونانمة التركيه ومعه جميع المراكب الحركيه الي ثغر الاسكندريه واعطاها الى محمد على باشا فى ٢ جماد الاول سنة ١٢٥٥ ه والسبب في فراره تولية خسروا باشا الصدارة العظمى . وقد هاجت لذلك قناصل الدول خشية قيام ابراهيم باشا زاحفاً على القسطنطينية ولكن لما كان عليه السلطان من التطلع في السياسة والحلم مع حداثة سنه قد دبر ذلك بحكمته حيث أسكن الفتن وأرضى الدول وأمن الرعية واستمال قلوب العصاة ثم أخذ في اجراء الاصلاحات الداخليه فرتب الجنديه ترتيباً حسناً واصدر الاوامر بتشكيل محاكم الجزاء

وعين الولاة العادلين وجلالته الذي اصدر الفرمان الى محمد على باشا بان ولاية مصر له ولورثته وعقد المشارطات الدوليه بين الدول وغير ذلك كثير مما سبق قاله المؤرخون قبلا وحارب لروسيا وغيرها وتزاحم فرنسا على الشام وغيرها وبعد اتمام كثير من الاصلاحات وغدو الدولة رافلة فى اثواب الزمردة حكمه بانمة اثنين وعشرون سنة وافته منيته حيث انتقل من دار الفناء الى دار البقاء فى يوم ١٧ الحجه سنة ١٢٧٧ هـ رحمه الله واسكنه فردوس جنته ودفن فى قبر اعده حال حياته بجوار جامع السلطان سليم وعمره اربعون سنه رحمه الله رحمة واسعه وتولى بعده اخيه

(السلطان الغازى عبد العزيز خان)

المولود في يوم ١٤ شعبان سنة ١٢٤٥ هـ وبعد أن مكث على تخت الملك مدة اجري فيها اصلاح تآمر بعض الوزراء وشقوا عليه عصا الطاعة بحجة ان عنده ملاخوليا في عقله وانه مختل الشعور وافتي المفتي شيخ الاسلام الشيخ حسن خير الله افندى بجواز عزله شرعاً فاحدقت العساكر بسرايه براً وبحراً وعزلوه في يوم الاثنين ٦ جماد الاولى سنة ١٢٩٣ هـ وبعد تنفيذ العزل وضع مع ابنه يوسف عز الدين افندي ووالدته في سراى طوبقبوا الي أن توفي في اسبوعها واختلف المؤرخون في سبب وفاته فمن قائل انه من شدة شعوره قتل نفسه بواسطة قطعه لعرق النبط حتي تصفى دمه ومن قائل انه مات بالسكتة لشدة حنقه على ما وقع له وغير ذلك ثم تولى بعده

(السلطان مراد الخامس)

المولود في ٢٥ رجب سنة ١٢٥٦ ﻫ وما لبث أن جلس على تخت الملك الا وظهرت عليه علامات الاضطراب العصبي ثم اخذت تزداد شيئاً فشيئاً خصوصاً عند ما بلغه خبر قتل محمد راشد باشا وحسين عونى باشا بصفة تجمهر العساكر وحسن بك القاتل لهما وهو من الجراكسة واختلت اعمال الدوله وسرى فيها الفساد والقتل والسلب لعدم وجود سلطان مدرك حازم . وقد استفحل المرض مع السلطان حتى كان لا يميز الوزراء من بعضهم وكان الصدر الاعظم يخفي ذلك الى أن رأي منه اختلالا في العقل يخشي عليه منه اخبر بعض الوزراء وقد ذاع بين الرعية خبر اختلاله وشعور عقله والسبب في اذاعة ذلك كونه لم يتقلد السيف باحتفال فى جامع الانصارى كالمعتاد وكونه لم يقابل قناصل الدول لا ولا ينظر فى اجراء اى عمل في الدولة واخيرا الوزراء استدعوا الطبيب ليدزورن النمساوي الشهير بمداواة تلك الامراض فبعد أن فحص جلالته فحصاً مدققاً بمرافقته له والاطلاع على اعماله وما يبدوا منه من الاشارات والخرافات وما يتخيله من الوهميات أقر بتعسر شفائه من هذا المرض لتمكنه من عقله . فحينئذ تشاور الوزراء فقررو بوجوب خلعه وتولية مولانا اخيه عبد الحميد افندى فعرضوا عليه ذلك فلم يقبل واجابهم بعدم التسرع في الامر مؤملا برء اخيه من دائه وان يعود لذكائه . فامتثل الوزراء ولبثوا ينتظرون شفاءه فما رأوا غير ازدياد شعوره فخشو على الدولة من الوقوع في مهوات السقوط فاجتمعوا في يوم الاربع ١٠ شعبان

سنة ١٢٩٣ هـ وقرروا بوجوب المبايعه لمولانا السلطان (عبد الحميد خان الثاني) حفظه الله بالسبع المثانى لما رأوه في جلالته من الذكاء والفطنة والميل للتقدم والاصلاح · وبعثوا بخبر الى والدة السلطان مراد يخبروها بذلك فاجابت باستحسان ما قرروه لما عهدته في السلطان مراد من الاختلال وعدم التفقه الامور الدوليه ولما هي عليه من الفطنة والميل الاصلاح وعليه قد استفتوا مولانا المفتي فافتي بجواز عزله وعزل وبعث به الى سراي چراغان التى بناها المرحوم السلطان عبد العزيز وتولى مولانا

(السلطان الغازى عبد الحميد خان الثانى)

في يوم الخميس ١١ خلت من شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٣ هـ وبويع لجلالته بالخلافة من العلماء والوزراء والاعيان بسراي طوبقبو ثم من الرؤساء الروحانيين بسراي بشكطاش وفى يوم ١٨ شعبان من السنة المباركة المذكورة زينت المدينة واطلقت المدافع واحتفلت الرعيه احتفالا شائقاً وركب جلالة سيدنا ومولانا السلطان الغازى (عبد الحميد خان) اعزه الله فى موكبه الحافل تحفه المهابة ويعلوه الوقار قاصداً جامع أبي أيوب الانصاري حيث تقلد السيف الشريف على حسب العاده ثم زار جدث والده المغفور له السلطان الغازي عبد المجيد خان بجامع السلطان سليم وضريح السلطان محمد الفاتح رحمه الله وقبر جده السلطان محمود خان مبيد الانكشاريه رحمه الله وقبر عمه السلطان عبد العزيز غفر الله له

ثم أخذ يباشر فى ادارة اعمال الدولة العليه فأصدر نطقه الكريم

السامي الى الوزراء بتثبيتهم في وظائفهم مشدداً في مراعاة المنفعة العامة وعكف على مباشرة الاعمال بذاته الكريمه وامر بزيادة الجيش الشاهاني المظفر واصلاح عدده واعداد المراكب البحريه موجها عظيم عنايته لانشاء المدارس لتثقيف العقول وبناء الجوامع لاقامة الشعائر الدينية . ثم أخذ يعمل فيما فيه الارتقي والتقدم للامة العثمانية اذ من الله سبحانه وتعالى على هذا الزمن السعيد باشراق شمس الدولة الحميديه .الاحت أنوار الطالعة الخاقانيه من آفاق سماء آل عثمان ووطد حفظه الله بعزه سلطان البلاد وخضع لعظمة شأنه مفارق العباد وقطع بسيف قاعرانيته أعناق أهل الشقاوة والشقاق والنفاق والعناد فنعمه ملك حف حيش نصره بكل ولي وصفي ومالك بعزمه ارغم انوف أهل الانفة الاشرار . سلطان سلاطين الاسلام عجماً وعرباً . المالك باذن الله لما بين الاثير والثري شرقاً وغرباً من أطنبت حصاة فخاره وعجزت حصاة اثاره وانتظمت قلائد مدحه في جياد الزمن . وسجع غريد حمده باهي روض واحسن فن . امام الخافقين وحافظ المغربين والمشرقين اسكندر الزمان الا انه حميدى الاسم والصفات وواحد الاوان جامع شتات الكمالات من ظهر من عزمه سواطع العزمات . سلطانت غرته محروسه بالف الف لا حول ولا قوة الا بالله ولا غرو وقد شاع في الانام عدله . وعم كل من على وجه البسيطة عطاءه وفضله ادامه الله عزيزاً منصوراً محمياً .وفوراً باسطاً يده الكريمة فلا يقبضها الا على نواصي اعداء وحساده . سامياً طرفه فلا يغضه الا على لذة غمض ورقاد منزهة أفكاره فلا يصرفها الا في احياء علوم واعمال . حتى ينال

اقصى ما تتوجه اليه امنيته . وتميل اليه رغبته خلد الله ملكه على الاسلام والعثمانيين وجعل سلطانه تلجأ اليه سلاطين السلاطين وأنام الانام فى ظل امانه وعدله المكين أمين أمين لا أرضى بواحدة حتى أقول الف الف امينا

(نذكر بعض فضائل جلالة مولانا الغازى السلطان عبد الحميد خان الثانى) على الدولة العثمانيه

جلس جلالته على تخت السلطنة كما أسلفنا وقد كانت الدولة فى انحطاط زائد وقلاقل وفتن بالنسبة لعدم نظام ادارتها وعسكريتها فاصدر جلالته ارادته السنيه بفرمان سامي لدولتلو الصدر الاعظم محمد رشدى باشا فى يوم ٢١ شعبان سنة ١٢٩٣ ﻫ يلزمه فيه أن يراعى ما فيه راحة العباد وعمارية البلاد وأن يحافظ على نفاذ القواعد الشرعيه ومنه ما يكون الاجرى بمقتضاه فى الامور الاداريه ناهياً عن الظلم والاجحاف آمراً باتباع العدل والانصاف . واعداً من يخالف بالعقاب الشديد وشديد العقاب

وبذلك هدأت الخواطر واستتب الامن والراحة وتعلقت الآمال بعرشه الحميدى ادامه الله وانتظمت الامور العسكرية والاداريه وأقيم العدل بين العباد ومحى الفساد . وظل الكل متضرعاً الى الله طالباً بقاء ذاته العلية مدى السنين والاعوام

ثم أن جلالته حفظه الله لما رأى التخالف والتنافر بين الامة الاسلامية والمسيحية أصدر ارادته السنية فى ٥ شوال سنة ١٢٩٣ ﻫ بمعاملة كل العثمانيين اسوة واحدة دون مراعاة ولا تفريق بين الاجناس والاديان حاثاً على وجوب الاتحاد والائتلاف آمراً بتشكيل (برلمان)

من مجلسين احدهما مجلس المبعوثات والاخر مجلس الاعيان وهذا لبث روح الاتحاد والائتلاف والتعاون بين جميع من يستظلون بالراية العثمانية

وفى ٤ ربيع اول سنة ٢٩٤، افتتح البرلمان العثمانى الاول فى سراى بشكطاش العامره فبعث جلالته بخطبة انيقة حوت من رقيق العبارات اجلها ومن عظيم الحض انفعه واثره وقد تليت على عموم الاعضاء عبر جلالته فيها عما يخالج ضميره السليم من الميل المتعاون والاتحاد وحب العدل والمساواة والمحافظة على الاديان ومراعاة الشرائع وحب التقدم والارتقاء ونحو ذلك وفي سنة ١٨٧٥ افرنكيه هاجت الخواطر فى بلاد الهرسك فمدت بعض الدول يد الدسائس فصارت فتنة كبيره بين المسيحيين والمسلمين فكبح جماح السائرون دولة الغازي مختار باشا

وما لبثت تطمئن الخواطر حتى سرت الدسائس الى سلانيك بأن فتاة بلغاريه مسيحيه اعتنقت الدين الاسلامى واتت سلانيك فى ٥ مايو سنة ١٨٧٦ لاثبات اسلامها فتعرض لها بعض الاروام واختطفوها بالقوه وهاجت الخواطر لذلك وقام الجدال بين الفريقين وما وصل خبر ذلك الي الدول حتى قامت وقعدت وزراءها وجرت المخابرات الدوليه وكان ما كان من اجتماع البرنس غورشاكون وزير الروسيا والكونت اندراسي وزير النمسا بالبرنس دى بسمارك ببرلين وقرروا لائحة شديدة مجحفة بحقوق الباب العالى طمعاً منهم في ارهاب جلالته باتحادهم

ولكن جلالته حفظه الله لم يقبل الاجحاف بحقوق رعاياه ولم يهتم ونفذ اغراضه حتي سكن الفتن دون مس لكرامة رعيته وذلك بشدة حزمه وعزمه أدامه الله معززاً منصوراً

وماتم ذلك حتي حدثت ثورة البلغار وأمتد لهيب الفتن بالصرب والجبل الاسود والمجر من الامورالتي ذكرها المؤرخون فى تواريخهم ولا حاجة لنا بذكرها منفصلا مما اربك الدولة ولكن همة مولانا فوق ذلك اذ بعظيم مداركه وسمو سياسته تمكن من اطفاء نار تلك الفتن بعزم وحزم وسياسة يعجز عن ادراك كنهها السياسيون حتي من ذلك العهد شهدت لجلالته ملوك الدول وفطاحل سياسيها بأن جلالته السياسي الوحيد فى العالم أجمع أبقاه الله زخراً للاسلام وحصناً للانام مدى الايام

وما لبثت تستريح من تلك الاضطرابات قليلا اذ قام عليها المجر وحرب الروسيا المشهور الذى قامت له قيامة عظمي فلما كان حفظه الله آمراً بازدياد المدد والعدد بجيشه المظفر مع حسن التنسيق وكمال الترتيب قد لاقت الروسيا من رجال العثمانية الذين هم فى الحرب ليوث وفى السلم رحماء ما قهقر عساكر الروس واصلاهم ناراً حامية وما حملت الروس شواظ نار العثمانيه حتي رجعت القهقرى وحينئذ حدثت المعاهدات الدوليه ونحو ذلك مما هو مشهور وسكن جيش الروس بعفو مولانا وتركهم وكف القتال عنهم

وماظلت الدولة تتقدم الي طريق الارتقي حتى قامت الثورة الاخيره المشهورة بثورة على افندى الاسعاوى البخارى الاصل مما هومشهور عنها

ومملوم وهاجت الخواطر حتي حدا بالمفسدين أن احرقوا الباب العالي بما فيه من النفائس والرسميات

ولكن مدارك مولانا حفظه الله اسكنت كل فتنة ثائرة وأخذ جلالته فى تقوية الجيش المظفر وتحسين الترسانة الحربيه والاساطيل البحريه حتي اصبحت الدولة العليه أعظم الدول قوة وادارة وتقدمت تقدماً حسناً في الادارة والعسكرية والمالية تباهى على الاغيار وتتيه عجباً وافتخاراً وتثقفت عقول ابناءها بتشييد جلالته المدارس في عموم انحاءها وبناء الجوامع والتكايا حتى تقدمت الدولة تقدماً عظيماً بعناية جلالته وانه ليكل يراع كل كاتب عن حصر ماأتاه جلالة حامي حمى الملة والدين . جناب ملجأ الخلافة العظمى مولانا الغازى السلطان (عبد الحميد خان) من ضروب الحكمة والسياسة في ادارة شؤون الممالك العثمانيه وتعميم التعليم الابتدائي وتنظيم الجيوش وترتيب الالايات الحميديه واصلاح الترسانة العامره مما لا يمكن لقلم هذا العاجز الاتيان على قطرة من بحره الزاخر وغاية ما يمكنني هو الابتهال الى بارئ النسمات وولي النعم أن يحفظ لنا جلالته مؤيداً بروحه ونصره وان يحفظ دولتنا العلية من كيد الكائدين ومكر الماكرين أنه السميع المجيب آمين

﴿طبع فى سنة ١٣١٧ هـ على صاحبها أفضل الصلاة وازكي التحيه﴾

(طبعه الفقير محمد أمين صاحب جريدة شمس الحقيقه ومحررها)

(بمصر المحميه)